

سعد سعيد

هسيس اليمام

رواية

الطبعة ١٥

هَسيِس الِيَمام

طبع في لبنان

فَسِيرُ الْيَهِامِ

رواية

سعيد سعيد

منشورات دفاف
DIFAF PUBLISHING



الطبعة الأولى

1436 هـ - 2015 م

ردمك 978-614-02-1295-4

جميع الحقوق محفوظة

منشورات ضفاف
DIFAF PUBLISHING

هاتف بيروت: +9613223227

editions.difaf@gmail.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأيّة وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أيّة وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

الإهداء:

إلى المرأة حصراً..
لأنها النصف الأسمى من الإنسان.

أيُّها الحمقى..
تلومون الخراف التي
ضلّت.. وتنسون الراعي!

موتي يا موتي العزيز.. أهكذا يجب أن أبدأ حملة بوحى هذه؟!.. هكذا، كما يفعل الغربيون بالضبط حين يخاطبون مذكراتهم بأيتها العزيزة.. حقاً أنا لا أعرف إن كانوا يفعلون ذلك بالفعل لأنني لم أعاشرهم، ولكن هذا ما يفعلونه في الأفلام.. موتي يا موتي العزيز!.. يروق لي ذلك، وسأعود عليه بالتأكيد وأنا أكتب مذكراتي هذه.

المذكرات، يا لهذا الاختراع الغريب!.. ألا تعني المذكرات الكتابة، فلم يكتب المرء إن لم يكن هناك قارئ. والأغرب أن الجميع يدّعي أنه يخشى على مذكراته من أعين القراء!.. أي فعل غريب هو هذا؟ ولكن هذا ما يفعلونه.. أو يدّعون في الأقل، فيكتبون للأحد وفي أعماقهم يتمنون قارئاً.. أقرأني وأنا لا أعرف أرجوك!.. ولكني يا موت سأكتب لك.. سأتجاوز جميع البشر وأكتب لك لأني أشعر بك كصديق أمين.. صديق سأجده ينتظرني حتما يوم اللقاء.. أنت صديقي ولذلك سأكتب لك.. أنا لا أخفي عليك، كان بودّي أن أكتب لبشر.. أن أتخفف عن أهالي هذه بالبوح بما لبشر يفهمني ولا يحكم عليّ.. ولكن بشرنا لا يمكنهم إلا أن يحكموا.. لا يمكنهم أن يستسيغوا ما سأكتب.. ما سأبوح به وما سأقول.. بل لعله سيخيفهم.. يربعهم.. بل سيكون بمثابة الحكم بالاعدام على صورتي في وجدانهم.. لا، مستحيل أن أفعل ذلك.. بل سأكتب لك وحدك.

موتي، يا موتي العزيز، أنا لا أخطط للقائك قريباً، إذ ما زال الطمع بمتع الحياة يملكني، ولكني سأكتب هذه الأوراق وأحفظها لك.. لا أعرف كيف، ولكني سأدبر أمري لأجعلها تدفن معي من دون أن يطلع عليها أحد، وهكذا يكتمل اللقاء.. لقاءنا أنا وأنت ومعني صحيفة أعمالي.. لا يبدو الأمر منطقياً، أليس كذلك؟.. أعرف، ولكن ما همتي إن رؤوا أوراقي بعدما أرحل؟.. لن يهمني طبعاً، بل لعله سيكون مفيداً أن يطلعوا عليها فنحن نحتاج أحياناً إلى ضربات قوية على رؤوسنا لنصحوا.. المهم هو فقط أن لا يطلعوا عليها وأنا في قيد الحياة.

أنا أعرف يا موت بأنني سأكون بأمان وراحة معك بعدما تعذبت كثيراً في هذه الحياة، ولكن السؤال الذي يقلقني هو، هل كان عذابني ظلماً.. أم أنني أستحقه.. أنا لا أعرف، ولذلك سأبوح لك، لعلني خلال البوح أكتشف الأشياء من جديد، فمثل هذا يحدث أحياناً.. آه، لم يجب على الناس من حولي أن يكونوا بهذه السماجة، فأخاف البوح لهم.. أنا أحتاج يا موتي إلى عقل أحاوره، ولكنني أشعر بهم بلا عقل.. والأهم، بلا روح.. كنت لأبوح لهم بكل شيء، أبوح ولا أخشى لوما أو إدانة، أنا أريد التحرر من هذه المشاعر ولذلك أريد البوح وأنا أستطيع أن أكون صادقة وصريحة، عكسهم.. ولكنهم لن يفهموني ولذلك لا أجرو.. أنا أحتاج للإعتراف ولا أستطيع وهذا يعذبني وكأن عذابني الآخر لا يكفي، عذاب روحي الذي أصلا في ناراً ما زالت آثارها تكوي نفسي.

موتي يا موتي، من أين أبدأ.. أقول لك أن اسمي (هديل)، ولكنك تعرف بالتأكيد، فمن أين أبدأ.. أنا لا أعرف، ولكنني

مصممة على البوح.. وسأبوح.. فقط لو أعرف من أين أبدأ،
فالأفكار تنهمر عليّ في هذه اللحظات كالطوفان ولا أكاد أتبين
منها شيئاً رغم غزارتها.. اعدك بأنني سأنظمها وأنتقي منها تباعاً ما
أقوله لك حتى أشرح لك كل شيء.. كل شيء يا موتي.. يا كاتم
أسراري.. يا صديقي الذي لن يخذلني يوم اللقاء.

شعرت بوحدة رغم الزحام من حولها، فأبعدت أنظارها عن
البضائع وراحت تتطلع في وجوه الآخرين، وعندها رأتها.. قالت
لنفسها:

- أيمكن أن تكون هي.. هديل؟!

عرفتها رغم السنوات، فقد بدت لها وكأنها هي، بسمرتها
الخلوة وشعرها القصير ووجهها ساحر الابتسامة حين لا تكون
منزعجة.. فكرت بأنها تبدو أكثر سمينة، فقالت لنفسها متهمكة:

- ومن الذي لم يسمن يا قطر الندى؟!

لم تستطع أن تخمن ردود فعل الأخرى حينما تراها، لأنها لم
تلتفت إليها أساساً.. لتجعل الأمر يبدو وكأنه مجرد مصادفة حين
تصبح وجهها لوجه معها، ناورت من بين الأشخاص المشغولين
بالبضاعة المعروضة أمامهم في (المول) الذي دخلته لتزجي بعض الوقت
قبل أن يحين موعد اللقاء.. صاحت تلك بصوت بدا فيه استفسار،
بقدر ما فيه من شعور بمفاجأة، حين تمنعت لثوان في وجهها:

- عذراء!.. معقولة؟!

همست وهي تحتضن صديقتها:

- حبيبي هديل.

تعانقتا بكل حرارة السنين التي مرت منذ أن إلتقتا لآخر مرة،
وسرعان ما انخرطتا في ترديد العبارات التقليدية المعتادة، إلى أن قالت
هديل:

- يا لله يا عذراء، ما زلتِ جميلة جداً.
- قالت ذلك وهي تتطلع في وجهها باعجاب واضح، قبل أن
تضيف:
- بل أنتِ الآن أجمل بكثير.
- وهي تحاول أن ترد الإطراء، تداعت ذاكرتها إلى يوم زواجها
الذي شعرت به وكأنه حدث في زمن سحيق.. كانت هديل
موجودة يومها.. تذكرت كيف أصرت على اخبارها كم هي جميلة
كعروس كلما إلتقتا.. كان عرسا رسم له أن يكون متميزاً..
وكان.. ولكن!
- تسللت بسمة حزينة إلى شفثيها من دون أن تشعر، بدا وكأن
هديل قد لاحظتها فوراً، فقالت:
- ما بك يا عذراء.. لا يبدو أنك سعيدة.
- فردت هي كمن يدفع قهمة عن نفسه:
- لا، بالعكس.. أنا بخير.
- لم يبد على هديل أنها قد سمعتها، بل قالت فوراً:
- ولكن أين اختفيت؟!
- بدا على وجهها بعد أن قالت هذا وكأنها تحاول أن تتذكر
شيئا، قبل أن تضيف من دون أن تعطي مجالا لرد:
- بالفعل عذراء، لقد اختفيت فجأة.. أين كنت؟!
- تشظت صور العرس الجميلة في ذاكرتها، لتحل محلها وجوه
قبيحة، ذاكرة أنفاس كريهة، شوارب مستفزة وعيون خالطت
الشهوة الواضحة فيها، توسلات ورجاءات.. قالت:
- القصة طويلة.

كانتا تكافحان لسماع بعضهما وهما واقفتان في مجرى البشر
المستمر من حولهما.. قالت هديل:

- هيا إلى الطابق الأعلى.. إلى الكافتيريا لتحدث قليلاً.
قدّرت هي أن الوقت المتبقي لها لن يتيح لهما أن تتمعا
بالحديث.. قالت:

- أنا مرتبطة بموعد الآن.. نلتقي في وقت آخر.

- أكيد؟

- طبعاً.

- هات رقمك

تبادلتا أرقام هواتفهما وهما تتفقان على اللقاء في أقرب وقت
ممكن.. ثم انغمستا في المزيد من العبارات المعتادة، وغير المعتادة ايضاً،
وهما تحاولان استعادة طريقتهما المميزة في الحديث الذي ميز
علاقتهم القديمة.. قالت هديل فجأة:

- ولكن أين كنت طوال الوقت الذي مضى؟

هاجمت صور الأزقة القذرة، الوجوه الكالحة، النظرات الوقحة
والطمع الواضح.. صور المطارات والسفارات والشقق الضيقة
والفنادق الرخيصة، ذاكرتها.. أدوار الانتظار الطويلة والوقوف تحت
رحمة الشمس التي لا ترحم أو قسوة البرد، وجوه شتى وأصوات
غريبة.. جاهدت لتبعد تلك الصور عن خيالها وقالت:

- أعيش في أمريكا الآن.

فتساءلت هديل على الفور:

- ودريد.. زوجك؟

ابتسمت هي وقالت:

- أنا بخير.
- فضحكت هديل وقالت:
- مرحبا عذراء!.. انسيت مع من تتحدثين؟
- فضحكت هي الأخرى وقالت:
- لا، طبعاً أعرف.. وكيف أنسى صديقتي (اللزكة)
- إذاً؟
- إذاً سأحدثك عن كل شيء حين نلتقي، فشرح ذلك
- يطول.
- قالت هديل وهي تبتسم لها:
- آسفة عذراء، ولكني يجب أن أعرف كل شيء.. أنت
- تعرفيني.
- فابتسمت لها وهي تقول:
- لا تقولي آسفة، يسرني أن أحدثك عن كل شيء.
- فتهلل وجه هديل وقالت:
- ما زلت كما أنت.. رائعة.
- أرادت أن تناكد صديقتها كما تعودت في الماضي، ولكن نظرة
- لا ارادية منها إلى ساعة يدها جعلتها تكتشف أن الوقت قد مرّ سريعاً
- من دون أن تشعر.. صاحت:
- آسفة حبيبي ولكني يجب أن أذهب الآن.
- قالت هديل وهي تقبلها على عجل:
- حسناً، انتظري إتصلاً مني.
- أومأت هي برأسها موافقة، ثم ابتعدت مسرعة.

اليوم حلمت بجدتي لأمي، وقالت لي "بس لا يطلع حظج ويه وسيم مثل حظ حمده!".. جدتي امرأة لم تستطع أن تنقطع عن جذورها الريفية رغم أنها عاشت معظم حياتها في المدينة.. كنت أحبها رغم أنها لم يكن مرحبا بها في بيتنا، بسبب أبي الذي كان يقول عنها دائماً "أنها مثال صارخ للجهل والتخلف".. ولكنها كانت تأتي رغم ذلك، وكنا نزورها في بيتها المتهاالك أيضاً.. كنت أحب القصص التي تقصها لي منذ طفولتي بلهجتها المتميزة وأسلوبها الخاص.. أتعرف يا موت، أنا على يقين من أنها لو نالت نصيباً من التعليم لأصبحت قاصة متميزة، ولكن أي تعليم وقد تزوجت وعمرها خمسة عشر عاماً كما تقول أُمي، أو ثلاثة عشر عاماً كما كانت تقول هي.

أنت تعرف يا موت أنني كنت أحب أبي كثيراً، ولكنني كنت أرى تجنياً كبيراً في موقفه من جدتي، فهي كانت تعبر عن حكمة في أحيان كثيرة رغم أميتها، ولكنه لم يكن يطيق وجودها!.. المهم هو أنها ألهمت خيالات طفولتي بأقاصيصها الحلوة ولذلك خلدت في وجداني، وكان (عرس حمده) مثالها الخالد في خيالات الأمل، تذكره كلما أوجست خيفة من أمر غير مضمون فتقول "بس لا يطلع مثل (عرس حمده)".. عرس حمدة الذي ضرب المثل به عندما دعي إليه فقررت الجموع أن تحضره لأنها اعتبرته النهاية السعيدة لقصة حب طالت.. كانت (حمده) فتاة جميلة في قرية

جدتي، أحبها (ورد) وهو شاب من قرية أخرى قريبة، فأحبه.. لم يعرف أحد كيف إلتقيا، أو أين رآها، أبداً، ولكنهما أحبا بعضهما باخلاص.. وعناد.. ولكن سوء الحظ لازم محاولات ورد لخطبتها، فقد رفضه أهلها باصرار لأنهم خشوا الفضيحة إن هم أكدوا الشائعات التي تحدثت عنهما. مرت السنوات وهو لا يفكر بغيرها وهي لا ترتضي بالزواج من أحد تقدم لها رغم عنت الأهل وقسوتهم، حتى أسقط في أيديهم بالنهاية وقبلوا بورود المشابر المخلص، عريساً لابنتهم العاشقة.. كانت قصتهم قد انتشرت في تلك المناطق على مر السنوات، ولذلك أصبح عرسهما حدثاً كبيراً إذ توافد الضيوف من كل حذب وصوب على قرية ورد وشاركوه فرحته بكل حماسة فلعلع الرصاص كثيراً كما هي عادتهم في أعراسهم، فظنوه العرس الأروع الذي حدث في تلك المنطقة، بل أخذ الحماس ببعضهم الى درجة أنه إدعى أن ذلك العرس أروع حتى من أعراس المدن القريبة، وعلى ذمة جدتي فإنها تؤكد ذلك، لولا نهايته.

لا حظ يا موت أنني أحاول أن أقص عليك ما حدث بالضبط بنفس أسلوب جدتي التي قصت علي تلك القصة مرارا وتكرارا، ولم أمل من سماعها يوماً.

من أطلق تلك الرصاصة؟.. لا أحد يعرف.. هل كان هو المقصود، أم أنها أصابته مصادفة؟.. أيضا لا أحد يعرف، ولكن رصاصة أصابت ورد في ليلة عرسه، فقتلته.. أقصد قتلته معنوياً لأنها قتلت حيوانه الصغير ولم تقتله هو.. حين كنت أصغر سناً، كنت أفرح حين أعرف أنها قتلت حيوانه ولم تقتله، فما قيمة قط

أو كلب بالنسبة إلى حياة إنسان؟، ولكنني حين بلغت، ففهمت.. طبعاً نقل ورد إلى مستشفى البلدة، فلازمته حمدة، وحين غادرها، عادت معه إلى بيتهم ورفضت كل محاولات أهلها لإعادتها إلى بيتهم على أساس أن الزواج لم يتم، ولكنهم لم يستطيعوا أن يجبروها لأنها كانت قد أصبحت زوجته شرعاً.

قضت حياتها معه كما تفعل كل نساء تلك القرى.. تعمل منذ الصباح الباكر في الحقول مع بقية نساء العائلة، ثم تعود للإهتمام بزوجها المستجير بظل الجدران في الصيف التي هي درعه ضد برد الرياح في الشتاء، حتى يجنّ الليل، فيأويان سوية إلى مخدعهما، فقد عرف الجميع أنهم أنقذوا رجولة ورد في المستشفى الذي عولج بها!.. لم يرزقا بولد، ولم يسمع أحد حمدة تشكو من شيء، وهكذا انقضت حياتهما المشتركة حتى مات ورد.

توقع الجميع أن تنهار حمدة بموت زوجها الذي تعشق، وهرع أهلها خشية على ابنتهم ليحيطوا بها في مصابها.. النساء معها والرجال قرييون تحسباً لحالات الطوارئ، ولكن حمدة بقيت جالسة كالتمثال طوال أيام العزاء بين النساء، تتطلع في فراغ.. لم تذرف ولو دمعاً واحدة، فزادت خشية الآخرين عليها لأنهم ظنوها تعاني من صدمة، ولكن النسوة أصبن بدهشة تقترب من الرعب حين فاجأهم في اليوم الثالث باغراقها بالضحك الصاخب عندما سألوها عن خططها للـ (عدّه).. صاحت مستهزئة بهم (چا آني مريمانه؟!) فزدن من عيار (اللطم) لأنهن أيقنّ من أن الحزن قد أذهب عقلها، ولكنها بدأت تبتسم وتتبادل مع القريبات منها الأحاديث.. وفي نهاية اليوم، أعلنت أنها راجعة مع أهلها إلى بيتهم!.

حينما عادت إلى بيت أهلها، أطلقت العنان لنفسها، فأخبرت النساء ما حصل لها، وكيف أن ورد رجع من المستشفى مجروحاً، مهزوماً ومكلوماً.. أنقذوا حياته هناك، ولكنهم اقتلعوا ما تبقى من صنم رجولته بعد الحادث، وهوروا له مسالكه ليتمكن فقط من إفراغ اليوريا التي يجب على جسده أن يتخلص منها ليعيش.. قالت لهم أن شخصيته تغيرت بسبب ذلك.. أو لعلها بانت على حقيقتها، أصبحت رجولته هاجسه، وعاش المتبقي من حياته خائفاً من فضيحة أن يكتشف الآخرون فقدانه لها، فكان أول ما فعله هو أنه افتضها باصبعه ذات ليلة كتم فيها عجزه على أنفاسه، وهددها بأنها إن تركته عائدة إلى بيت أهلها فإنه سيدعي بأنه وجدها فاقدة للبكارة بعد أن أبلّ من اصابتها، وحاول أن يمارس معها حقوقه الزوجية، رغم أنها لم تفكر قبل ذلك بأن تتركه أبداً..

في البداية كنت أستغرب من غباء حمدة، فقد كان بإمكانها أن تخبر أهلها بالحقيقة، ولكن حكمة جدتي كانت تردعني حين تقول لي:

- (ولج غمّه ليش أكو حرمه تكدّر توگف بوجه زلمه!)

أعترض، فتزجرني بـ (انجبي) صارمة!

آه يا موت، لِمَ خُلِقْتُ امرأة؟!

خير من الله



تتزوجني

ههههههههههههه



جماره اني تاجر



غير اشوف اول



شنو تشوف

البضاعة



ها اشتغلت

انتي الي بديتي



هم صدك

لا صدك جماره



انتي جماره



اي والله هاذا اسمي

لا قصدت انتي جماره



هااااااااااااا

علضوك

اموووووووووووووووووت على الضوك



شوكت



هاي شنو انت شكك طماع

اموت عل جمار



بس هو غالي

ما يغله علي شي 

زين عيني انا اترخص

وين 

بعد وكت 

لا عندي شغل

زين نتحاجه بعد 

؟ 

أكيد

موتي يا موتي العزيز، أنا لا أعرف لِمَ يخشاك الناس أيها
الرحيم بدلا من أن يخشوا الحياة نفسها.. أنا اشعر بأن التعامل
معك أسهل من التعامل مع هذه الحياة غريبة المزاج التي لم تكن
يوما واضحة معنا، ولا مفهومة.. تتداعى بي الذاكرة الآن فلا
أرى أمامي إلا أغرب المفاجآت وأعجبها.. يا لتلك الصدف التي
قادتني إلى أن أكون الآن ما أنا عليه!.. يقولون أن الانسان مخير،
فأين هي الخيارات؟!.. أتعرف ما الذي يؤمني أكثر من أي شيء
آخر؟ هو صدفة أن أكون امرأة، الصدفة التي كانت بمثابة حكما
بالأعدام في مجتمعنا هذا لأني لو فعلت نفس الأشياء التي فعلتها
وأنا رجل لما كان هذا حالي.. بل لعلي كنت الآن في خير حال!..
فأي شأن غريب هي هذه الحياة!.. ما هذا الذي أفعله.. أنا أهذر
في الوقت الذي يجب أن أركز فيه على ما يجب أن أبتدىء به محاولة
بوحى هذه، ولكن لا ضير، فأنا سأحدث لك عن كل شيء،
وتقديم الأحداث وتأخيرها لن يضر في النهاية.

موتي.. آه يا موتي، لقد خطر ببالي للتو أن أبدأ بالحديث عن
(وسيم).. وسيم حبيبي الذي قلب ظهوره حياتي رأساً على
عقب.. طبعاً أنت تعرف أنه ليس زوجي، فانا لم أحب زوجي أبداً..
قد أكون استلطفته أحيانا.. أحيانا قليلة، ولكنه سرعان ما يجعلني
أندم ولذلك لم يتح لي الفرصة لأن أحبه أبداً، ولكن ليذهب هو إلى
الجحيم الآن، فأنا أريد أن أحدثك عن وسيم، تعويض الأقدار لي

وخلصني من المصير الأسود الذي كنت أنزلق إليه.. وسيم،
 الرجل الأرق الذي التقيت به يوماً.. الرجل الأكثر فحولة،
 والأجمل.. آه لو رأيته كما رأيته أنا في أول مرة أتاني فيها إلى
 الصيدلية.. لقد حبست رؤيته أنفاسي وأذهلتني فوراً.. أقسم لك
 بأي صادقة فليس هنا غيري أنا، وأنت، فلمَ الكذب؟.. لقد امتلك
 علي مشاعري حال رؤيته.. نعم، أنا لا أنكر أن أناقته ومظهره
 الجذاب بوسامته التي يزيدها تأثيراً شعره الأبيض المصفف بعناية هي
 الأسباب التي جعلتني أهتم به بذلك القدر، فلطالما أثرت بي
 مظاهر الرجال وهي مهمة في النهاية، رغم أن المظاهر يمكن أن
 تكون خداعة، ولكني لم آبه في حينها، بل ركزت نظراتي عليه،
 فانتبه هو إلى ذلك بالتأكيد، ولذلك ودعني بابتسامة حملها الكثير
 من المعاني وهو يغادر بعد أن بعته ما أراد، فزادني بذلك المجذبا إليه.
 حينما عاد مرة أخرى بعد أيام، شعرت بفرح طاغ حال
 رؤيته، فاستقبلته بابتسامة فرح لم أشأ أن أخفيها.. نعم يا موت..
 هكذا هي أنا.. أو ما أصبحت.. لم أشأ أن أخفي عنه فرحتي به،
 فشجعه هذا على أن يلامس أصابعي متعمداً وهو يدفع لي حساب
 ما اشتراه من أدوية، في المرة الثالثة التي أتى بها.. لأمسني،
 فكدت أسقط أرضاً.. لأمس أصابعي في مرة، وفي الأخرى أعطاني
 ورقة قبل أن يخرج، وطلب مني أن أقرأها حينما أبقى لوحدي..
 فصدق قلبي بعنف، وشعرت بالحيرة، لأنني لم أعرف كيف أتصرف
 في تلك اللحظة الحرجة.. لا لم يكن هذا سؤالاً لنفسني إن كنت
 أرتضي به، بل فكرت بما قد يفكر به إن وافقت بسرعة.. هكذا نحن
 الشرقيات، نسأل أنفسنا دائماً عن انطباعات الآخر، خاصة إن كان

رجلاً.. احترت قليلاً، آأخذها، أم أرفض.. تصور يا موت، أسأل نفسي هذا السؤال وأنا أعني جيداً أن الرفض لم يكن خياراً لحظتها، فأخذتها وقرأتها حالماً وجدت نفسي وحيدة.. كان شعراً يا موت.. كتب لي قصيدة مليئة بكلمات الغزل، ويا لها من كلمات رائعة اخترقت وجداني فوراً، فأحبيته.. آه يا موت، لقد أحكم لي فخه فوقعت، فاجأني بكونه شاعراً، وفاجأني باستخدامه للشعر ليقدم طلبه، فوقعت.. ويا له من وقوع لذيد.. أتعرف يا موت؟.. نسبة غالبية منا نحن النساء، لا يسقطهن غير عبارات الغزل.. نعم هناك الوسامة وهناك الجاه وهناك مظاهر الرجولة التي تؤثر فينا، ولكن لا يسقطنا شيء مثل عبارات الغزل، وذلك لأنها من تجعلنا نشعر بقيمتنا، وتشبع رغبتنا العارمة في أن نكون محبوبات.. أن نكون مركز اهتمام لمن يعجبنا من الرجال.. وهذا ما يحدث غالباً.

عندما أتى بعد ذلك، استقبلته كأية مرافقة تستقبل حبيباً لها، نسيت كل من حولي من زبائن، وتفرغت له.. لم آبه لهم، أو لما قد يقولونه عني لأني لم أعد أرى غيره، وحين خرج، كدت أتبعه لولا بقية من خجل.. ولكني لم أكن بحاجة إلى اتباعه لأنه أتى في اليوم التالي، والذي تلاه والذي تلاه، حتى أصبح مجيئه طقساً يومياً لا أطيق أن ينقطع يوماً، وكان يزداد جرأة في الكلام معي وذلك ما زادني ذوباناً في حبه وهو يطلق كل طاقاتي في الاشتواء، وكم انزعجت من فكرة أنه يمكن أن يصبح أكثر جرأة في تصرفاته معي، لا في كلامه فقط، لولا الزبائن الذين لم يكونوا ينقطعون عن الصيدلية معظم الوقت.. لكم تمنيت لو استطعت طردهم جميعاً لأنفرد به ويتصرف معي كما يشتهي!

لم تبد هديل على حالتها الطبيعية لسلمى التي صارت تعرفها بعد كل تلك السنوات.. كانت غارقة في صمتها وقد تناوبتها الأفكار كما يبدو، فغاصت هي الأخرى في لجة من أفكارها العميقة.. تساءلت للمرة (المليار!) عن شكوكها بهذه الانساعة التي ارتبطت بها أيما ارتباط، ومرة أخرى لم تستطع أن تصل إلى نتيجة، ولذلك آثرت أن تنبذ تلك الأفكار المحبطة، فعادت إلى السطح.. استعادت حبها لها وأرادت أن تمازحها، فندندنت بصوت مسموع:

- (الك يومين دكاتك يا كلبى تزيد).

ابتسمت هديل برقة وأكملت:

- (بشرة خير، لو تنسى الحبيب تريد)

فعاجلتها سلمى قائلة:

- أخاف (واكع بحب جديد)

أطالت هديل النظر في وجهها فقالت هي:

- ها.. ماذا؟!

قالت هديل بصوت محايد:

- ما زلت تقرئيني ككتاب مفتوح.

فردت سلمى وهي تضمّن نبرات صوتها، المعاني:

- صديقتي وأعرفها جيدا.

قالت هديل وشبح ابتسامة يتراقص على شفثيها:

- ماذا تقصدين؟

ضحكت سلمى وقالت بصوت خفيض:

- أعرفها (كجبه).

فردت هديل على الفور وكأها كانت تتوقع قولها:

- لقد تركنا الشرف لك.. دعيه يفيدك.

فكان ذلك ايذانا ببدء حملة تراشق متبادل، بالعبارات الثقيلة، دارت بينهما بعيدا عن اسماع الآخرين وهما تتصاحكان حتى فرض الهدوء (هدنته) عليهما، لتعود هديل إلى صمتها فيما التفتت سلمى إلى حيث انتبذت هيفاء مكانا بعيدا عنهما.. كان الوجوم باديا على وجهها هي الأخرى، فانتبهت إليها.. تذكرتها وهي بملابس المدرسة الزرقاء عندما تلقت أول قصاصة كتب عليها رقم هاتف.. تذكرت حيرتها وذهولها وهي تنظر إليها ولا تجرؤ على النظر في الورقة التي دسها الشاب في يدها، فرق قلب سلمى لها لأنها تعرف مدى ضعفها وعدم قدرتها على تجاوز ابسط الازمات لوحدها.. فكرت قليلا، ثم تحركت باتجاهها لتطلب منها أن تسير معها في حدائق النادي.. كما توقعت، نهضت فورا لتسير معها من دون اعتراض، فتأكدت أنها تعاني من ثقل أفكارها.

وهما تسيران معاً في ممرات النادي المزدهمة، ابتسمت سلمى لنفسها وهي تلاحظ النظرات القلقة للفتيات، والابتسمات الواثقة التي تقابلها من الشباب، فيما اصرت هيفاء على صمتها وتقوقعها على همومها الخاصة.. لم تشأ أن تسألها عما تعانيه قبل أن تستقرا في مكان، وعندما بلغتا (المرجوحة) في أقصى الحديقة التي وصلتا إليها، قالت هيفاء فجأة بعد أن ظهر عليها أنها كانت تفكر بشيء ما:

- لقد نسيت أن أخبرك.. قبل مدة قابلت سهاد.

ثم سكتت وهي تستطلع وجه سلمى الذي لم يظهر عليه شيء يدل على أنها فهمت، فقالت مكملة:

- تبادلنا أرقام الهواتف، وسألت عنك.

لم يجد اسم سهاد مكانا لنفسه في ذاكرتها، فقالت:

- سهاد.. من تكون سهاد؟!

قالت هيفاء وهي تحاول أن تجعلها تتذكر بالمزيد من حركات الأيدي الايضاحية:

- سهاد.. سهاد عبد الرحمن، الفتاة التي كانت معنا في

الكلية.. السمراء، الطويلة.

السمراء الطويلة.. لم يخطر ببال سلمى أن هناك وصفا أكثر عمومية من هذا، ولكن الاسم الكامل جعل ذكرى مرعبة، وبطريقة ما، تقفز إلى ذاكرتها.. قالت:

- آه.. تلك الشاذة!

ضحكت هيفاء وهي تقول:

- حرام عليك يا سلمى.. كانت مجرد شائعات.

شعرت سلمى بغضب خفيف حين سمعت صديقتها تقول ذلك.. تجرؤ على أن تدافع عن تلك العاهرة الفاسقة أمامها!.. قالت:

- إشاعة يا مسكينة؟

بدا الاستغراب على وجه هيفاء وهي تتساءل:

- أتعرفين شيئا لا أعرفه يا سلمى؟!

كادت أن ترد فوراً، لولا أنها تداركت نفسها.. حاصرتها

الذكرى اللعينة فشعرت بضيق شديد.. قالت بخشونة ظاهرة:

- وما قد أعرفه؟!

قالت هيفاء على الفور:

- لا شيء، ولكنني لم أصدق يوماً ما كان يقال عنها.
- كانت سلمى إذّاك مشغولة الفكر بما بدأت ذاكرتها البعيدة تسترده.. هالها أن تتذكر أن ذلك قد حدث في التواليت.. تواليت الكلية فشعرت بقرف زاد غضبها، قالت بحدة:
- ألا تتخلصين من هذه العادة السيئة.. أن تشككي بكل ما لا يوافق هواك.

بان الارتباك على وجه هيفاء وهي تقول:

- آسفة عزيزتي، ولكني.
- قاطعتها سلمى:
- كفى.

لاحظت ارتباكها.. فكرت، لم تعرف هيفاء أو أي مخلوق لأنها لم تخبر أحداً بالموضوع، شعرت بالشفقة على صديقتها.. قالت برقة هذه المرة:

- لا تهتمي هيفاء، ولكن هذا الموضوع يقرفني.. دعينا منه.
- لم تعلق هيفاء بشيء، بل بقيت صامتة.. تمنعت سلمى في وجهها، لاحظت حيرتها، فرقّت لها أكثر، قالت بعد قليل من التفكير:

- قولي لي.. ما بك؟!!

- لم تجب هيفاء، فقالت سلمى:
- يبدو عليك التعب.
- سكنت قليلاً قبل أن تضيف:
- كثيراً.

تسللت إمارات الحزن لتتمازج مع الحيرة في وجه هيفاء،
انتظرت سلمى أن تنطق بشيء، ولكنها لم تزد على أن تقول.

- صحيح.

- لماذا؟

- آه يا سلمى، اتركيني لحزني.

- ولم أتركك لحزنك.. أأست صديقتك؟

اخترقت ابتسامة ضئيلة حصار الحزن والحيرة على وجه هيفاء

التي قالت على الفور:

- بل كنت خير صديقة طوال عمرك.

- فما الذي تغيّر الآن، لم لا تبوح لي بما يتعبك؟

قالت هيفاء بعد قليل من التفكير:

- لا أعرف ما أقول.

- ولكن لماذا؟!

- تبدو مشكلتي وكأنها بلا حل.

- جربيني.. لعلي أستطيع مساعدتك.

بان التردد واضحا على وجه هيفاء، ولكنها قالت أخيرا:

- إنه زوجي.

- ما به زوجك؟

- يرفض أن يمسيني.

ابتسمت سلمى وقالت:

- ولم يرفض أن يمسك.. هل أصبت بمرض جلدي؟

ابتسمت هيفاء وهي تقول:

- هيا سلمى، أنت تعرفين ما أقصد.

- طبعاً أعرف.

ثم سكتت سلمى لتفكر قليلاً قبل أن تكمل:

- ولكن كيف لم تستطعي أن تغريه، أنا أعرف قابلياتك،
فهل بلغت من الكبر عتياً؟

- لم أدخر وسعاً، بل أكاد أنفق نصف راتبي على شراء
الملابس الداخلية المثيرة التي كان يحبها، ولكنه يتصرف
كتمثال.

- غريب، ما الذي حلّ به.. قد يكون مريضاً.

- لا أعرف فهو يرفض أن يشرح لي.. هو فقط مصرّ على
تجاهلي.

سكتت قليلاً وقد بان على وجهها أنها تتذكر شيئاً ما، ثم

قالت:

- أنتظر حتى يلجأ إلى الفراش.. بعد أن أكون قد فعلت
المستحيل لألبي له كل مطالبه.. ألتحق به وأتعمد أن
أنضو عني ملابسي أمامه، ثم أرتدي كل ما كان يلذ له
مرآه، ولكنه يدير وجهه إلى الناحية المعاكسة.. أندس في
الفراش.. ألتصق به.. أحاول، ولكنه يردعني.. بل
يزجرني.. أقول له ما حلّ بك ولكنه يرفض أن يجيبني.

قالت سلمى وقد اخترقها القلق على صديقتها بجدية:

- وكم مضى على ذلك؟!

- لا أعرف بالضبط.. أشهر.

قالت سلمى بحدة:

- ولكن هذا ليس من حقه.

- فابتسمت هيفاء بحزن وقالت بصوت منكسر:
- قلت له ذلك، ولكنه لم يأبه لي، فقط قال لي، أغرب بي عن وجهي.
- قالت سلمى بعصبية واضحة:
- ولكن هذا مستحيل.
- بانت المفاجأة على محيا هيفاء وقالت بحزن:
- أتتهميني بالكذب؟
- فردت سلمى على الفور:
- لا آسفة لم أقصد هذا.. أنا قصدته هو، مستحيل أن يكون هذا موقف رجل من زوجته.
- لم تعلق هيفاء بشيء بل وقفت في مكانها وهي تنظر إلى بعيد وقد غلف البؤس محياها.. فكرت سلمى قليلا ثم قالت:
- وهل حدث هذا فجأة.
- ردت هيفاء:
- تعرفين أنه بعمره يواجه بعض الاخفاقات أحيانا، ولكنه لم يعاملني بمثل هذا البرود أبداً.
- احتدّ صوت سلمى وهي تتساءل باصرار:
- قلت لك، هل حدث ذلك فجأة.
- فقالت هيفاء بصوت مهادن:
- تقريبا.
- ثم اضافت بعد قليل:
- نعم.
- قالت سلمى بتعاطف:

- يا مسكينة.. كم تعانين؟!
- فقالت هيفاء بصوت يكاد يكون باكياً:
- كثيراً يا سلمى.. أنا أهاوى.
- وقعت كلمة (أهاوى) بشدة على أذن سلمى، فقالت بحدة:
- تتهاوين.. كيف؟!
- بدا على هيفاء وكأنها انتبهت من غفلة، فقالت فوراً:
- لا شيء.. اقصد.
- ولكن سلمى قاطعتها، وقد بدأت أعصابها تثور، قائلة:
- هيا يا مجنونة، حدثيني عن كل شيء.. إياك أن تخفي.
- أصرّت هيفاء على موقفها قائلة:
- قلت لك لا شيء.
- ولكن سلمى الخبيرة بما كانت متأكدة من وجود شيء فلم ترحمها، بل قالت باصرار:
- بلا غباء هيفاء.. الأمر واضح.
- فتحت هيفاء فاهاً لتعترض، ولكن تقطعية سلمى ردعتها..
- آثرت الصمت.. قالت بعد قليل:
- حسناً.. لا داعي للإنكار.
- سكنت وهي تنظر بقلق إلى وجه سلمى الذي بقي جامداً وهي تنظر بثبات إليها.. أضافت بعد قليل:
- هناك واحد.
- عندها صاحت سلمى:
- (صخام!) وما ستقولينه لأولادك.. لقد صاروا رجالاً يفوقونك طولاً.

- دافعت هيفاء عن نفسها قائلة:
- لا.. لا.. لم يحدث شيء.
- ثم سكنت.. انتظرت سلمى أن تكمل ولكنها بقيت صامتة،
فقالت:
- حدث أم لم يحدث.. ما هذا.. أَلغاز؟!
- فقالت هيفاء بصوت هو إلى الضراعة أقرب:
- أرجوك سلمى.. حسبك علي.
- ثم صمتت منتظرة هجوم سلمى المقابل، ولكنها لم تقل شيئاً،
فقالت هي متابعة:
- هو شاب تعرفت عليه في الفيسبوك.
- عندها ابتسمت سلمى وقالت:
- شاب يا عاهرة.. شاب؟!
- فقالت هيفاء بجدية لم تعتد سلمى على سماعها منها:
- إن كان لا بد أن أفعلها، فلم لا يكون شاباً.. في الأقل
ستسوّغ رجولته خطيئتي.
- اتسعت ابتسامة سلمى وهي تقول:
- وأخيراً أصبح لك منطق.. ولكنه منطق عاهر مع الأسف.
- لم تعلق هيفاء بشيء، فقالت سلمى مكلمة:
- ثم أن الشباب لا يعني شيئاً.. ما أدراك أنه فحل؟.. وإن لم
يكن، فهل ستمارسان السحاق؟!
- قالت هيفاء بلا وعي تقريباً:
- بل هو فحل.
- وما أدراك؟!

- هو أخبرني.
- عندها شعرت سلمى بالغضب يجتاحها.. صاحت:
- هو قال؟!!
- لم تحر هيفاء جوابا هذه المرة، بل آثرت الصمت، فقالت سلمى متابعة:
- ما الذي تريدان ان تفعليه بنفسك يا مسكينة.. أتصورت أن الزنا أمر سهل.. هل سبق وأن جرّيته؟!!
- أجفلت هيفاء وقالت بجرارة:
- لا طبعاً.. أنت تعرفيني.
- لم تشك سلمى ولو للحظة بصدق صاحبته، ولكنها مع ذلك قالت بتهكم واضح لم تشأ أن تخفيه:
- ولكني لم أعد أعرفك.. أنت اليوم لست هيفاء التي أعرفها.
- بدأت الدموع تنزل من عيني هيفاء، وراحت تبكي بصمت احترامته سلمى حتى قالت هيفاء بعد مضي وقت كاف لتمكن من السيطرة على دموعها:
- ساعديني سلمى.. انا لا أعرف ما أفعل.
- فقالت سلمى بثقة العارف:
- الأمر واضح هيفاء، الجئي إلى طاقتك الإيمانية، عودي إلى الله قبل أن تضيعي.
- جادت عيني هيفاء بدورة دموع ثانية قبل أن تقول:
- ولكن الألوان قد فات.
- فأجفلت سلمى وصاحت:

- ماذا تقصدين.. ألم تقولي أنه لم يحدث شيئاً، فكيف
(فات)؟

حرصت هيفاء الباكية على أن لا تنظر في عيني سلمى، وقالت
وهي تغالب دموعها:

- لقد تواعدنا.. سنلتقي بعد نحو ساعة.

- أين؟

- هنا في النادي.

- جيد جداً.. قابليه وانهي كل شيء.

- ولكني لا أستطيع.

- لم لا تستطيعين؟

- هكذا.. فقط لا أستطيع.

تمعت سلمى في وجه هيفاء قليلاً، ثم قالت بهدوء:

- ولكني أستطيع.

أجفلت هيفاء وقالت:

- ماذا تقصدين؟!

- ما سمعته.. سأقابله أنا وأخبره بأنك لا تريدin الاستمرار.

- ولكن!

- بلا ولكن، هذا ما يجب أن يكون.

ثم سككت، قبل أن تضيف بعد قليل:

- يجب على واحدة منا أن تقوم بالمهمة.

لم ترد هيفاء هذه المرة، فراحت سلمى تمنع النظر في وجهها..

اكتشفت أنه لم يفقد جماله كلية، رقق لها قلبها، ولكنها أبت إلا أن
تناكدها، فقالت:

- ولكن ما الذي رآه هذا الشاب فيك أيتها العجوز المتصايبية؟
- ابتسمت هيفاء من خلال دموعها التي كانت مستمرة بالانحدار، وقالت:
- هو لم يرني بعد.
- لم أفهم!
- هو لم ير وجهي بعد.
- فقدت سلمى هدوءها وصاحت:
- أتريدين أن تجنّبي.. ما هذا الهراء؟!
- قالت هيفاء بصوت مستسلم:
- هذا ما حدث.
- فكرت سلمى قليلا وقالت:
- أرجوك لا تقولي لي أنك لم تري وجهه ايضا.
- بل رأيته.. صورته تملأ صفحته.
- فهمت.. ولكن هل أراك ذلك الشيء أيضا؟
- ابتسمت هيفاء رغم دموعها وقالت:
- من منا العاهرة الآن؟
- فاشتركتا في ضحكة قصيرة قبل أن تقول سلمى:
- والآن، اتفقنا؟
- قالت هيفاء التي فارقتها الضحكة سريعا:
- على ماذا؟
- أن أقابله وانهي كل شيء.
- لم ترد هيفاء، بل زمّت شفتيها وحركت كتفيها بطريقة تشي

- بأنها لا تعرف ما تقول.. قالت سلمى:
- عندما تريه فقط دليني عليه من بعد.
 - تساءلت هيفاء:
 - وماذا أفعل أنا؟
 - ابتسمت لها سلمى وقالت:
 - لا أعرف.. يمكنك أن تذهبي إلى الجحيم.

أنا أشعر بأنني قد فعلت حسناً لأنني جلبت معي دفترتي إلى النادي يا موت، فهأنذا لوحدي وأستطيع أن أخاطبك قليلاً.

موتي يا موتي العزيز، لقد أصبحت شغلي الشاغل وأنا أفكر بك طوال اليوم وأتصور ما سأكتبه لك حالما أفتح دفترتي.. ألتقط الأفكار وأحاورها لعلني أنتقي منها ما يصلح لأن أكتبه لك.. أقصد ما يشرح لك ما أردت قوله لك أكثر.. اليوم يا موت أريد أن أحدثك عن شخص لم يخطر لي ببال أنني يمكن أن أحدثك عنه رغم لهفتي للحديث عن كل ما يمر بي منذ أن تعودت الكتابة إليك.. لم أفكر أن أحدثك عنه، ولكنني سأفعل اليوم.. سأحدثك عن (حيّان)، حيّان الذي رأيته للمرة الأولى قبل أسابيع، بعد أن بدأت أخاطبك.. حين أتى إلى الصيدلية، صيدليتي، أتى بصحبة زوجي.. أقصد فحلي.. الفحل الذي اصطفته لي الأقدار.. لم أنتبه في حينها إليه رغم أنه ألقى عليّ بالتحية بأدب جم.. حيّاني فرددت عليه ببرود، بل لربما باحتقار حتى، كما تعودت مع أصدقاء (بلوتي) حين يأتون معه.. يومها، بقي واقفاً بعيداً وصاحبه يكلمني.. أو بالأحرى يزعجني بملاحظاته، كان ينظر إليّ طوال الوقت والابتسام لا تفارق شفثيه.. بدا عليه أنه يفهم انزعاجي ويشعر به، الأمر الذي كاد يفقدني أعصابي فأصرخ به أن يكف ابتسامته الحقيرة عني.. تحملته على مضض حتى غادر، قبل أن يغادر زوجي بقليل فخمنت أنه سينتظره في الخارج.

في اليوم التالي زارني لوحده، وكذلك فعل في الأيام التالية.. يدخل مبتسماً، وعندما يراني مشغولة مع الزبائن يقف جانبا في الزاوية المقابلة البعيدة، بعد أن يلقي بالتحية، ويتنظر حتى تفرغ الصيدلية من الزبائن يقترب ويسألني إن كنت بحاجة إلى شيء، أرفض عرضه وأنا أحاول أن أحمل وجهي كل ما أستطيعه من علامات الانزعاج، كان يتسم ويودعني، ليعود في اليوم التالي.. لم يحد يوما عن أدبه الواضح ودماثته المشيرة لأعصابي حتى إنني بدأت أتساءل مع نفسي عن نوعية العلاقة التي تربطه بفحلي المضطرب المغرور، ولكن هذا لم يمنعني من أن أقرر طرده ذات يوم لجرد أنه كان صديقا له.

في يوم تنفيذ قراري، أتى وسيم قبله، وحين دخل هو بصمته وهذوئه المبهوتين، لم ينتبه وسيم لوجوده لأنه كان مشغولا بمغازلتي بطريقته المفصوحة التي بدأ يلجأ إليها مؤخرا، والتي كانت تثيرني جدا! أتعرف يا صديقي أنه أجبرني على أن أتلفظ بكل ما لم أعود عليه من كلمات ماحنة عندما كان يحدثني هاتفيا.. في البداية، تمنعت ورفضت، ولكني رضخت وراقني الأمر في النهاية.. وقف بعيدا وهو يراقبنا، فخطرت لي الفكرة التي ظننت أنها ستجعله يذهب بلا عودة، أردت أن يراني سعيدة بتلك الكلمات المنهالة من وسيم وأنا أضحك.. لم تكن فكرة سديدة، نعم أنا أعرف، ولكنني استحسنيتها كثيرا في حينها، أردته أن يعرف ما يدور بيني وبين وسيم، ليفعل ما يشاء.. يذهب إلى زوجي ليخبره؟.. لم يكن يهمني ذلك لأن قراري كان متخذاً، أنا أريد وسيماً، أريده بأي ثمن، وإن أراد أن يتخذني عشيقه له فأنا له، تبا للزواج.. تبا للأولاد.. تبا لكل شيء، فقد حان

وقت أن أهتم بنفسى فقط بعدما أعطيت كل ما أستطيع حتى ظلمت نفسى وحرمتها من حقوقها.. هكذا كنت أفكر في تلك اللحظات وكنت على يقين من أنني بدأت أخيراً أفكر بطريقة صحيحة.. بقى ساكناً في مكانه ووسيم يعن في اطلاق همساته الماجنة وهو غافل عن وجوده الذي لم اشأ أن أنبهه إليه، ولكنه حين طلب منى فجأة أن أمد يدي لألامسه، أجفلت ونظرت بلا وعي إليه، ولكن لم يمد على وجهه أي انفعال وكأنه لم يسمع رغم أنى كنت على يقين من أنه قد سمع كل شيء.. زجرت وسيم بنظرة غضب فضحك وقال إني لأمسة إياه في النهاية، لا محالة، طلبت منه أن يكف ونهضت لآتيه بالأدوية التي طلبها، فاستلمها وذهب في الحال بعد أن رفضت أن أعطيه (البوسة) التي طلبها.

حين اقترب هو منى، نظرت إليه بتحدٍ وقلت من دون

مقدمات:

- نعم هو الأمر كما رأيت، ولن يهمنى ما ستفعل.
- طافت ابتسامة رائقة على شفثيه وهو يقول:
- وما سأفعل؟.. هو شأنك ولا علاقة لي بالأمر.
- عندها أيقنت أنه قد اقترف الذنب الذي يستحق الطرد من أجله، فقد كان يوافق بطريقة مكشوفة.. قلت:
- لا تنافق.. أنا أعرف أنك ستهرع إلى صاحبك الدينى لتخبره بما رأيت.
- بان الاستغراب في نظرتة وهو يتساءل:
- ومن هو صاحبى الدينى هذا.
- فأجبت بلا تردد:

- زوجي (الشفية) طبعاً.. بعلي.. بعولتي.
فقال بهدوء شكّل ضغطاً هائلاً على أعصابي المتحفزة:
- أها.. لا لن أخبره بشيء.
ثم سكت.. تمنعت في وجهه الذي لم تفارقه ابتسامته المستفزة
فصحت:

- هل أنت منافق هكذا دائماً؟
اتسعت ابتسامته وهو يقول:
- ولمَ هذا الاتهام.. أنا لم أقترف خطأ ولا حاجة بي إلى
مداراة شيء.. أنتِ تسألين وأنا أجيب.
فقلت وفيضان غضبي يأبى أن يتوقف:
- ولكني على يقين أنك ستقول الكثير لذلك التافه.
أصرت ابتسامته على الالتصاق بشفتيه وهو يقول:
- ولمَ قد أقول له؟
- لأنه صديقك.
- ولكني صديق الجميع فهل سأخبرهم جميعاً بما أعرفه عن
زوجاتهم؟.
فصحت وأنا أفترض مع نفسي أنه قد أوصلني إلى حيث
استطيع أن أنفذ قرارى المبيت:
- أتريد أن تستهزئ بي يا أستاذ؟!
ولكن ابتسامته الرائقة أعجزتني عن النطق بحكم الطرد.. قال
بهدوء:

- عفواً يا سيدتي، ولكن ما تفعلينه شأنك الخاص ولا
مخططات عندي للتدخل.. لك مطلق الحرية في فعل ما

تريدين.

كان الصدق ينساب مع كلماته بشكل واضح.. شعرت بالحيرة.. همست:

- ولكن..

ولكنه قاطعني قائلاً:

- بلا ولكن، أنا لم أعود الكذب وما أقوله هو الحقيقة..

لك أن تفعلي ما تشائين لأنك الوحيدة التي ستدفع الثمن، ولكني مشفق عليك مما أنت مقبلة عليه.

شعرت أنه قد عاد إلى إثارة أعصابي، فقلت بجدة:

- ماذا تقصد؟

حينها أطلق (قنبلته) التي لم أتوقعها قائلاً:

- من حَقَّك أن تعبري عن نفسك وحاجاتك كما تشتهين، ولكنك، وآسف لقول هذا، أسأت اختيار الشريك.

تصورت أنني قد فهمت فجأة ما الذي يحاوله هذا اللئيم..

عرفت سبب زيارته اليومية وأدبه المفتعل واصراره على تقديم

خدمات لم أطلبها يوماً.. فهمت كل شيء فاستغربت جرأته بعدما

أفصح عن نياته من حيث لا يدري.. ولكن من يتصور نفسه؟..

هذا القميء.. هذا الصعلوك الذي لا يكاد يرى.. حاولت أن

أصيح ولكن صوتي أبى إلا أن يبدو مهادناً في نبراته وأنا أقول:

- وكيف حكمت يا أستاذ أنني قد أسأت الاختيار؟!

- أخبريني أولاً لِمَ اخترت هذا الرجل بالذات.

فأجاني سؤاله، ولكني احتفظت برباطة جأشي وأنا أقول:

- لأنني أحبه.

- ولم تحيينه؟
- لأنه يجني.
- عندها اتسعت ابتسامته مرة أخرى وهو يقول:
- يجبك؟.. وكيف عرفت؟
- اعتبرت قوله هذا إسرافاً في الوقاحة فقلت على الفور:
- ومن تكون أنت لتسألني؟
- فقال بهدوء رغم نبرات الغضب التي ضمننتها صوتي وأنا أقول
جملتي الأخيرة:
- أنت التي أعطيتني هذا الحق.
- أنا.. كيف؟!
- بأن أخبرتني بما لم تكن امرأة أخرى لتجرؤ على البوح به
لرجل غريب.
- بدا لي محققاً بدرجة كبيرة فيما قاله، ولكني لم أتردد في القول:
- ومع ذلك فليس من حقك أن تحاول نصحي.
- ولكني لا أحاول نصحك.. بل أنا أخبرك عن انطباعاتي
بأقصى ما أستطيعه من صدق.
- وما انطباعاتك عنه؟
- أنه غير جدير بالثقة.
- ألا ترى أنك ظالم بحكمك هذا؟
- وكيف أكون ظالماً؟
- لأنك لا تعرفه.
- ولكن بمقدوري أن ألاحظ.
- وما الذي لاحظته؟

- لاحظت كمية الأدوية التي يأخذها.. أهو مجهز
مستشفى؟

- لا تبالغ، ومع ذلك ما أدراك بحاجته إلى الأدوية.

- أولاً هو يبدو موفور الصحة.. وثانيا والأهم أنا أعرف لم
يطلب هذه الكميات الكبيرة.

- لماذا؟

- لأنها مجانية.

شعرت وكأنه طعني بتصريحه هذا.. لا لأنه كان مخطئاً فيما
قال، ولكن لأنني كنت قد لاحظت أن وسيماً لم يعد يدفع ثمن ما
يطلبه من أدوية ما أن توطدت علاقتنا أكثر.. لم أعرف بم أجيب
فقلت مراوغة:

- ولكنه يجني

- وهل ادعاء الشيء يكفي دليلاً؟

انتبهت إلى ما كان يعنيه ولكني أكملت ما كنت أود قوله

بهدوء:

- حتى إنه يكتب لي شعراً.

ضحك حينها بصوت مسموع للمرة الأولى منذ أن تقابلنا،

وقال:

- كلمات.. مجرد كلمات.. ثم من يدري كم من امرأة قدم

إليها تلك الكلمات.

ولكن، إلى أين ذهبت سلمى مع هيفاء.. لقد تأخرتا.. آسفة

يا موت لأنني لم أعد أستطيع التركيز، سأتوقف الآن، ولكن قبل

أن أنسى، وددت القول هنا أنني لم أطرده حين ذلك اليوم.. بل لم

أنزعج منه حتى في النهاية، فقد بدا لي صادقاً.. صادقاً إلى درجة
غير معقولة وهو يدق الأسفين الأول في صلب ثقتي بمشاعر وسيم
تجاهي!.. آه يا موت، منذ ذلك اليوم بدأ وجهه يفرض نفسه على
ذاكرتي عندما لا يكون موجوداً، وبدأت مشاعر الفرح تغزوني
حين أراه، فيما ظل وجه وسيم الوسيم يخلي المزيد من المساحة
لوجه حيّان في خيالاتي وأنا لوحدي.

سارت سلمى بخطى ثابتة باتجاهه بعد أن دلتها هيفاء عليه.. من بعيد، بدا لها مجرد مراق، فعجبت لحال صديقتها التي ورطت نفسها بمثل هذه العلاقة!.. ولكنها بدأت تشك بحكمها ذاك كلما ازدادت قربا منه. وحين واجهته بدا له وكأنه قد تجاوز الثلاثين من عمره.. صحيح أنه كان يرتدي كما الشباب جميعا، السروال (الـجـينـز) و(التي شيرت) المعتادين، ولكن لا يمكن للعين أن تخطئ علامات النضج البارزة على وجهه.. وقفت أمامه من دون أن ينتبه لها لأنه كان ينظر باتجاه آخر.. قالت متعمدة أن تذكر اسمه من دون ألقاب: - مرحبا ماهر.

بدا عليه وكأنه قد أجفل حين سمع اسمه، التفت إليها فبانَتْ فوراً على وجهه علامات المفاجأة، تساءلت مع نفسها عما حلَّ به، قالت:

- أنا..

ولكنه قاطعها قائلاً:

- أعرف، ولكني لم أتوقع هذا!

لم تستطع أن تفهم ما يقصد فتساءلت:

- ما الذي لم تتوقعه؟

- أن تكوني بهذا الجمال.

قالها وعيناه معلقتان بوجهها، ثم أكمل من دون أن يعطيها

الجال للرد:

- مستحيل.
- وما المستحيل؟
- أن تكوني بهذه الروعة.. هذا يفوق أشد أحلامي تفاؤلاً.
- أدركت في أعماقها أنها لم تكن مستعدة لمثل هذا الغزل الصريح ولذلك شعرت بالحيرة، ولكنها سرعان ما تذكرت أنه يتصورها هيفاء فقالت:
- ولكن..
- ولكنه قاطعها مرة أخرى قائلاً:
- دعيني أنعم النظر في وجهك أرجوك.. أنت جميلة جداً، لم أتوقع ذلك.
- تساءلت مع نفسها عن مصير كل المشاعر غير المريحة التي كانت تشعر بها وهي تتقدم منه لتبلغه القرار؟.. بحثت في أرجاء نفسها فلم تجد ثمة غير شعور خفيف بالامتنان لما يقول.. بل شعرت بتعاطف معه وهي تنوي أن تخيب رجاءه!.. ولكنها سرعان ما تداركت نفسها وحزمت أمرها، فقالت:
- ماهر أرجوك أنا لست هيفاء.
- بانت المفاجأة على وجهه فقال متلعثماً:
- ومن تكونين يا سيدتي.
- أنا صديقتها وقد أتيت..
- ولكنه قاطعها متسائلاً:
- هل حدث لها شيئاً؟
- لا لم..
- فقاطعها مرة أخرى:

- ولم أتيت أنت، هل أرسلتك هي؟
 - طبعاً.
 - هل هي مريضة؟
- حينها تضايقت من طريقته المندفعة في إلقاء الأسئلة ومقاطعتها،
- قالت:
- أرجوك ماهر دعني أفهمك.
 - لم يبد عليه أنه قد سمعها، بل قال بطريقته نفسها:
 - نحن متواعدان، كان يجب أن تأتي.
- قالت سلمى وهي تحاول أن ترسم الجدة على ملامحها لتترك أبلغ الآثار عنده:
- أعرف وقد أتيت لأخبرك بأن كل شيء يجب أن ينتهي.
- أجفل حين سمع ذلك، ولكن بدا وكأنه قد تمالك نفسه سريعاً
- لأنه قال:
- ولكن لماذا؟
 - لأنه لا يصح.
- سكنت لتستطلع أثر كلامها عليه، فلاحظت أن في وجهه ملاحظة واضحة.. لم يبد في عينيه غير الانغماس الكامل في التطلع بوجهها.. أكملت:
- هيفاء زوجة وأم، وما يمكن أن يحدث بينكما خطأ فادح.
 - ولكني لم أكن البادئ.
 - لا يهم يا ماهر، يمكن للإنسان أن يخطأ ثم يتراجع..
- ساعدها.

- وكيف يمكنني أن أساعدها؟!
- ابتعد عنها.
- بدا عليه أنه يفكر قليلا، قبل أن يرتسم ظل ابتسامة على شفثيه،
- قال:
- أبتعد.. بشرط.
- فكرت مع نفسها، "هذه السرعة!"، ولكنها قالت:
- شرط.. وما هو؟!
- أن تساعديني بذلك.
- لم تستطع أن تتأكد إن كان جادا فيما قال أم أنه كان مازحا..
- فردت وقد بدأت سحب الشك تتراكم في داخلها:
- وكيف يمكنني أنا أن أساعدك في ذلك؟!
- بأن تكوني صديقتي.
- تحول الشك إلى غضب بدأ يفور، فتحت فاهها لتقول شيئا
- ولكنه عاجلها بالقول:
- على الفيسبوك أقصد.. أليس عندك حساب، أضيفيني
- أرجوك.
- غار الغضب سريعا من داخلها، ولكنها تعمدت أن تقول بحدة:
- وما الذي تريده مني يا أستاذ؟
- لم يبد عليه أنه قد اهتم لغضبها الظاهر فقال وهو يبتسم:
- هل تخشين مني؟
- ضحكت وهي تقول:
- ولم أحشى منك أو من غيرك؟
- انتهينا إذاً، أضيفيني.

طرات فكرة مستعجلة على بالها في تلك اللحظة فقالت:

- وتحذف هيفاء؟

- أحذفها طبعاً.

- إذاً سنرى.

شعرت وكأنها قد أنجزت المطلوب فغادرت مسرعة.. وهي تغذ الخطى باتجاه المكان الذي تركت هديل فيه، بدأت تفكر بما حدث للتو فتعجبت لنفسها.. ما الذي فعلته، ولكنها سرعان ما سخرت من نفسها لأنها فكرت بما يمكن أن تخافه من هذا الغر المغرور.

في تلك اللحظات، كانت هيفاء قد استقلت سيارة الأجرة التي طلبت من سائقها أن يأخذها إلى بيت سهاد.. شعرت فجأة بعدم الرغبة بالبقاء في النادي، بعدما تركتها سلمى متجهة إلى ماهر لتبدد حلمها الحلو الذي رسمته وهي تفكر بلقائه.. شعرت وكأنها تنزلق إلى درك سحيق فبدت لحظتها سهاد وكأنها طوق النجاة من معاناتها التي لا تريد أن تنتهي ولذلك اتصلت بها واتفقتا على اللقاء.

حين توقفت سيارة الأجرة عند المدخل الوحيد لذلك الحي الذي سدت أزقته المانعات الكونكريتية وجذوع الأشجار وكل ما من شأنه أن يخدش النظر في عرض مزري لقلة الذوق، وجدت سهاد في انتظارها كما وعدتها.. ضمتها سهاد بشدة إلى صدرها وهي تغمر وجهها بالقبلات، فشعرت به لقاء بهيجا يليق بكل تلك السنوات التي مضت منذ أن تلاقتا للمرة الأخيرة، وبادلتها مشاعراً سخية، وقبلات.. سارتا إلى البيت القريب من المدخل اليتيم.

بدا لها البيت الذي دخلته نظيفا جدا رغم طرازه العتيق، وحين رفعت رأسها لم تلاحظ خيوط العناكب التي تعودت على رؤيتها في البيوت المشاهمة القليلة التي زارتها من قبل.. قالت سهاد:

- لنجلس في الصالة.

ثم سكنت قبل أن تضيف:

- أو في أي مكان تشائين.. فنحن لوحدنا هنا على أية حال.

فتساءلت هيفاء:

- وأين الباقون.

فقال سهاد بصوت محايد:

- لا باقين.. أنا أسكن لوحدي في هذا البيت.

شعرت هيفاء بغرابة فكرة أن تعيش امرأة مثل سهاد لوحدها في مثل هذا الوقت العصيب، ولكن صاحبها لم تعطيها مجالا لأن تسأل، فقد أضافت:

- أنت تعرفين أي لم أتزوج، ولذلك عشت في هذا البيت

بعد زواج اخوتي واخواتي، مع أمي وأبي حتى ماتا، وهكذا بقيت لوحدي.

لم تعلق هيفاء حتى جلست في الصالة لتجلس سهاد أمامها..

قالت بعد صمت قصير:

- ولكن لِمَ لَمْ تتزوجي يا سهاد؟

بدت المفاجأة على وجه سهاد وهي تسمع هذا السؤال الذي

يبدو أنها لم تتوقعه، فقالت بسرعة:

- قسمة ونصيب.

ولكنها لم تستطع أن تكبح بسمه تسللت إلى شفيتها لم يفت هيفاء أن تلحظها ولكنها لم تشأ أن تعلق بشيء.. قالت سهاد بعد مرور قليل من الوقت:

- يبدو وجهك شديد الشحوب يا هيفاء.. ما بك؟

فوجئت هيفاء بالسؤال تماما فتلعثمت.. أرادت أن ترد ولكن الصور حاصرتها.. وجه زوجها الممتنع وصوت سلمى الغاضب وهو يعنفها.. تذكرت وجه ماهر الجميل الذي كان يعددها بالانتقام من برودة فراشها الزوجي، وليالي السهاد بسبب الرغبة المحبطة.. حاولت أن تتماسك، ولكن دموعها أبت إلا أن تخذلها فبكت قبل أن يولد الرد.. سمعت صديقتها تقول بصوت متعاطف:

- ما بك هيفاء.. أخبريني.

ثم أتبعته سؤالها بالانتقال إلى جانب هيفاء لتضع يدها على ركبته في حركة تعاطف واضحة.. لم تستطع هيفاء أن تسيطر على دموعها، بل استمرت بكائها الصامت ثوان أخرى.. قالت صاحبتها:

- هيا هيفاء أخبريني، أنا صديقتك التي تحبك.

ابتسمت لها هيفاء من خلال دموعها، ولكن صوتها أبي أن يعينها إلا بعد لأي لتقول:

- حياتي تنهاوى يا سهاد.

دأبت سهاد خدها وهي تبتسم لها بركة، وقالت:

- هيا أخبريني بكل شيء.

صعب على هيفاء أن تخبر صديقتها التي فارقتها منذ سنوات عن ما تعتبره كل امرأة طبيعية أسراراً شخصية لا يصح الإفصاح عنها إلا للمقرين.. قالت بعد تفكير قصير:

- مشاكل.. مشاكل مع زوجي.
- قالت سهاد على الفور:
- آه فهمت.. تبا للرجال.. أضر بك؟
- ارتفع صوت هيفاء وهي تقول:
- لا.. لا أبدا.
- فما فعل بك إذًا؟
- لم ترد هيفاء هذه المرة، بل ازدادت دموعها انهماراً.. لاحظت أن سهاد قد اقتربت منها، قبل أن تقول:
- أئن تخبري صديقتك بما تعانين منه.. أنا أريد أن أساعدك
- يا هيفاء فأنا أحبك كثيراً.
- تطلعت هيفاء إليها بامتنان قبل أن تقول من خلال دموعها:
- لا أعرف كيف أخبرك يا سهاد.
- حدقت سهاد بعيني صديقتها وقالت:
- هل الأمر يتعلق بالجنس؟
- أخرجت هيفاء ولم تعرف كيف ترد، ولكنها أومأت برأسها ايجاباً.. قالت سهاد بانفعال لم تحاول أن تخفيه:
- تلك هي كارثة النساء.. أنا لا أعرف لِمَ يربطن مصيرهن بقطعة اللحم المتدلية تلك.. كيف يرضين بالعبودية بسببها؟!
- لم تستطع هيفاء أن تكبح البسمة التي ظهرت على شفتيها رغم دموعها.. قالت باستحياء:
- أو ليس هذا هو الطبيعي؟
- صاحت سهاد:

- عن أية طبيعة تتكلمين؟
- أليست هي الطريقة الوحيدة لاستمرار الحياة على هذه الأرض؟
- أها.. العذر التقليدي.. قولي لي، أتريدينه الآن لأنك تفكرين بانجاب المزيد من تلك المخلوقات الغريبة؟
- طبعاً لا.. لقد أغلق المعمل منذ سنوات.
- فأين الطبيعة إذاً.
- ولكن عدم الانجاب لا يعني انتفاء الرغبة.
- أفهم ذلك.. ولكن أين الطبيعة في ذلك؟
- ما هذا يا سهاد.. غرائزنا هي الطبيعة!
- لا يا هيفاء.. إن قلت الطبيعة فهذا يعني ممارسة الجنس من أجل الانجاب فقط، وهذا ما كانت تفعله جداتنا في الكهوف، هكذا كانت تعمل الغريزة، هذا ما أرادته الطبيعة، ولكن ما تشعرين به هو اضافة انسانية بحثة، أم أنك تتصورين أن اولئك العاهرات كنَّ يبحثن عن المتعة قبل آلاف السنين عندما يرتضين أن يفتحن سيقاهن (لإنعاضات) شركائهن؟! نعم، هذا ما كنَّ يفعلن، هكذا تعمل الغريزة.
- الغريزة نعم، ولكننا نتحدث هنا عن الرغبة.. عن الحاجة وليست الغريزة، افهمي هيفاء، الأمر مختلف تماماً، فنحن نحتاج الرجل عندما نريد أن ننجب، ولكن الأمر مرهون بإرادتنا عندما نريد أن نتمتع، أن نشعر باللذة.. وهناك عشرات الطرائق.. قولي لي، أما فكرت بأن تخدمي نفسك بنفسك وأنت تعانين من هذا الحرمان؟!

صاحت هيفاء وهي تكاد لا تصدق أذنيها:

- بهذا العمر يا سهاد.. معقولة؟!
- وما هو غير المعقول.. ألا تريد أن تشعرني باللذة؟
- نعم، ولكن الأولاد..
- لم تدعها سهاد تكمل عبارتها بل قالت:
- أولاد؟!.. وما دخل الأولاد بهذا؟
- لم تعرف هيفاء بـم تحيب ولكن سهاد لم تكن تنتظر إجابة لأنها أكملت قائلة:

- تستحين منهم؟.. أما كان الأولى بك أن تحجلي من أن تكوني عبدة لرجل يلجك حين يشتهيك ويهملك حين لا يريد، أو لأن ذلك الشيء لم يعمل كما ينبغي؟
- صاحت هيفاء وقد بلغ بها الحرج أقصاه:
- سهاد.

ولكن لم يبد على سهاد أنها تهتم لمعارضتها، فقد أكملت بهدوء:

- آسفة هيفاء، ولكن لا بد لأحد أن يقول الحقيقة.. أنت تقولين أنك تحجلين من ممارسة العادة السرية وأنت أم.. حسنا، ألا تحجلين من أن تأخذي كل الأوضاع المهينة التي يطلبها منك زوجك وهم ينامون في الغرفة المجاورة، مجرد أن يتشرف عضوك بحلول (أبو عرّام) فيه؟
- ولكن ذلك ما يفعله الجميع!
- ولم يفعلونه؟
- لأنهم تعودوا المتعة.. ويريدونها.

- وأنا أتحدث عن المتعة واللذة هنا.. أنا فقط لا أفهم لِمَ
يجب أن تكون حصراً بذلك الشيء وقد انتفت الحاجة إلى
الانجذاب؟!!

لم تستطع هيفاء أن تجد ما تقول هذه المرة غير كلمات حائرة
هي:

- ما العمل يا سهاد؟

ضحكت سهاد وهي تقول:

- لا تهتمي حببيتي فقد أتيت إلى حيث كان يجب أن تأتي
منذ زمن بعيد.

أرادت هيفاء الحائرة أن تسأل صاحببتها عما تقصد، ولكنها
لاحظت أنها قد ازدادت قرباً مما يؤكد وضوح مقصدها إلى درجة
فاضحة.. اختلطت عليها الأمور.. أهذا يعني أن الشائعات عنها
حقيقية؟!.. فلتكن، ولكن أهى تعني أنها يمكن؟!.. لم تستطع أن تكمل
الجملة حتى في خاطرها.. لم يخطر لها هذا الأمر ببال، ولكن الإحياء
في كلام سهاد كان مريباً بالنسبة لها.. شعرت بخوف زاد ارتباكها..
كانت سهاد خلال ذلك تراقبها بتمعن وكأنها تحاول تخمين ما يجري
في داخلها.

قالت سهاد بعد صمت طال قليلاً:

- أنا صديقتك وسأساعدك بأقصى ما أستطيع.

خفف الخوف قليلاً من قبضته عليها.. قالت بتلعثم:

- شك، شكراً حببيتي.

ولكنها تساءلت في داخلها "بم يمكن أن تساعدني يا عيني؟!".

قالت سهاد:

- أنت تعرفين أنني أستطيع أن أساعدك بالطبع.
- بدت سهاد وكأنها تقرأ أفكارها بالفعل، فعاودها الخوف.. لم تدرِ إن كانت صاحبها تمارس معها لعبة نفسية، أم أنه سحر من نوع ما.. انكمشت في مكانها.. ضغطت سهاد على فخذها وقالت بصوت هامس:
- استرخي يا حبيبي.
- لم تستطع أن تسترخي، بل اكتفت بمحاولة رسم ابتسامة على شفتيها لئلا تراها سهاد التي كانت تراقبها باصرار.. تململت فأتاها صوت سهاد أمرا هذه المرة:
- استرخي.
- فاسندت ظهرها إلى ظهر الأريكة وهي تكاد تبكي لعجزها عن التفكير بالتصرف الصحيح الذي يجب أن تتبعه.. قالت سهاد بلهجة حانية ولكنها مفعمة بالقوة:
- لا تخافي يا هيفاء.. لن يجبرك أحد على شيء، ولكن افهمي.. ما أعرضه عليك إنما هو من أجلك، واقسم أنك ستكونين سعيدة.
- ثم سكنت.. حدقت ملياً في وجهها، قبل أن تقول:
- (انزول عليج بعد چ حلوة!).
- أردفت قولها بابتسامة ودود قبل أن تضيف:
- (جسمج يجبل!).
- كانت الرسالة هذه المرة أكثر وضوحاً، ومع ذلك لم تستطع أن تصدق.. قالت مراوغة:
- (شكرا حبيبي)، ولكن ما العرض؟.. لم أعرف أن هناك عرضاً!

- فردّت سهاد وهي تركز على كل حرف تقوله:
- (لا تتلوتين براسي).. هناك عرض.. وتفهمين.
 - حينها، لم يعد هنالك شك بالمرّة، فاضطربت أيما اضطراب..
 - نفضت فوراً بلا شعور وقالت:
 - لا أستطيع سهاد.. أنا ذاهبة.
 - نفضت سهاد هي الأخرى، وقالت بجفاء لم يخفَ عليها:
 - (بكيفج).
 - إزدادت اضطراباً.. سارت باتجاه الباب، ولكن سهاد استوقفتها
 - فجأة وقالت لها:
 - (حَبِيبَتِي هيفاء).. أنا صديقتك.. وسأبقى كذلك.
 - شكراً.
 - لا تترددي بالاتصال أرجوك إن احتجتني، فرفض العرض لا يعني نهاية صداقتنا.
 - حاولت أن تقول شيئاً، ولكنها لم تجد ما تقوله، فأكملت
 - سهاد:
 - أرجوك افهمي.

أنا آسفة يا صديقي، فقد أردت أن أخبرك بأشياء عميقة.. عميقة جدا، ولكني لم أخبرك طوال الأسابيع التي مضت إلا التفاهات التي استطيع أن أقولها لأية صديقة مقربة، ولكنه النفاق الذي تعودناه كبشر، فقد تعودنا أن نقول كل ما من شأنه أن يخفي حقيقتنا عن أعين الآخرين.. هكذا تعودنا ويبدو أننا لن نستطيع أن نتخلص من هذا الأمر بسهولة.. عندما أبوح لك يا موت أنا لا أريد أن أدين أحدا أو أن أكيل لأحد، أنا فقط أريد أن أبوح لك بكل ما يثقل وجداني.. أريد أن أبوح بطريقة تجعلني أدرك السلام الداخلي الذي أتحدث عنه منذ أن وعيت نفسي، وهذا لن يحدث إلا إن كنت صادقة في كل ما أقول وأن لا أخفي عليك شيئا.. أبدا.

منذ اليوم سأبدأ بإخبارك عن خافية نفسي كما هي.. سأخبرك عن كل ما لا يعرفه أحد عني غير الذين شاركوني ببعض ما فعلت، ولكن قبل ذلك وددت أن أخبرك بأنني كنت طفلة طبيعية قد لا تنبئ ظروفها بما إنتهيت إليه الآن.. لا، أنا لا أريد أن أداري شيئا، فقط أردت أن أقول الحقيقة كما هي وطبعاً لن أخشى شيئا لأنك لن تخبر أحدا بكل تأكيد.

أبي كان موظفا حكوميا أيام كان هذا الأمر يعني شيئا من حيث تأمين العيش الكريم لعائلة صغيرة كعائلتنا المكونة من أمي وأبي وأخت وأخ أنا أكبرهم.. ولكي يحقق حلمه في تكوين عائلة، تزوج من أمي التي أتت من بيئة فقيرة في أول فرصة اتاحت

له، لم يبحث عن عروس أثقف من أمي شبه الأمية، ولم ينتظر أخرى من مستوى اجتماعي أفضل، فقط تزوج.. وإن أردت قول الحق، فيجب علي أن أعترف بأنه كان أفضل أب يمكن أن يمنحه مجتمع كمجتمعنا، فقد كنت مدللة أبي ولم يتغير هذا حتى بعد أن رزق بالولد الذي يشكل ثقلًا بارزاً في العائلة العراقية التقليدية، ولذلك مات وهو يحمل كنية "أبو هديل" التي لم يأنف من سماعها يوماً.. أبي، كان النقطة المضیئة الأولى في حياتي، ولا أعرف إن كان هذا هو السبب في توتر علاقتي بأمي أحياناً، فقد كانت متدبنة وصارمة وتبدو وكأن التقيد بـ (التابوهات)، وفرضها، متعة لها.. طبعاً هذا لا يعني أنني يمكن أن أنسى فضل أمي في تكويني، ولكنني فقط أعتقد أن أبي كان هو الشخص الأهم في حياتي، وهو من جعل السنوات التسعة الأولى من حياتي، الأسعد والأجمل.. آه يا موت، لماذا يجب أن نكبر؟ ولكن ما هذا الهذر، يجب أن نكبر في النهاية.. المهم، في العاشرة من عمري حدث الزلزال عندما بدأت تلك الكتلة الخطيرة في صدري بالتكور، انتبهت إليها وتعودت أن ألامسها كلما اقتنصت خلوة لنفسني، كانت (الدغدغة) هي كل ما كنت أشعر به في البداية وأنا أداعبها بأناملتي، ولكن مع مرور الوقت بدأت مشاعر شتى تغزوني، وفي أماكن شتى.. وهكذا بدأت تلك المشاعر اللذيذة الغامضة تتابني، ولم أحتج لأحد ليخبرني بأن ذلك يجب أن يكون سري الخاص.

آه يا موت، لِمَ فعلوا ذلك بي؟.. أما كان بإمكانني أن أكون مجرد امرأة عادية تحب وتكره وتعمل وتمارس الجنس كأية امرأة طبيعية؟.. لِمَ حولوا ذلك الشيء إلى هاجس سلب مني

السكينة وراحة البال طوال حياتي.. لَمْ جعلوني أمارس نشاطاتي كالآلة، بلا حب ولا اهتمام لأن الأهم دوماً كان هو الجنس الذي أحلم به طوال الوقت.. أنا لا ألومهم يا موت لأنهم لم يوفروا لي الجنس عندما بلغت وأنا في العاشرة!، أنا أعرف أن هذا ليس معقولاً، أنا ألومهم فقط لأن أحداً لم يأخذ بيدي في ذلك العمر العصيب.. لم يكلف أحد نفسه عناء أن يفهمني ما يدور.. ما كان ضرراً أمي لو أنها كانت قد حذرتني من قطرات الدم تلك التي ظهرت فأرعبتني ثلاثة أيام بكاملها قبل أن تكتشفها أمي بنفسها على ملابسي الداخلية التي غسلتها مراراً وتكراراً لإخفاء الأمر عنها، ولكنني عجزت، فإذا بها تحمل أحدها بيدها وتفرس بي فبكيتُ من شدة الخوف قبل أن تأخذني إلى حضنها وتقبلني وهي تقول:

- (بِمة فدوة لبنتي.. صارت مرة).

ما كان ضرراً لو أخبرتني عن كيفية تشريفي هذه الدنيا، أو أن توضح لي ما فعلاه هي وأبي من أجل ذلك؟.. ما كان ضرراً لو أنها كانت قد أعفنتني من عقوبتها الضارية يوم اكتشفت أنني كنت ألعب لعبة (بيت أبو بيوت) مع أخي الصغير.. أقسم لك أنها كانت الأولى والأخيرة، ولكن أثرها في النفس ما زال حياً حتى هذه اللحظة.. أما كان بإمكانها أن تجعلني أفهم بدلاً عن تلك اللطمات التي كادت تفقدني عقلي؟! ما كان ضرراً لو أن أحدهم شرح لي (فسلجة) قضيب الرجل بدلاً من أن أضيع معظم سنوات شبابي وأنا أتساءل عن سرّه الحير؟ آه يا موت قصة هذا القضيب معي لوحدها قصة.

بدأ الأمر حين اقتحمت على والديّ غرفتهما ذات ليلة لحاجتي إلى أمي.. رأيتهما ممددة على السرير عارية تماما وهي تضع يدها على شئنها وتبتسم لشيء أمامها، جمدت في مكاني ولكن عقلي لم يجمد ففي جزء من ثانية استوعبت فكرة أنها كانت تداعب منها ما لم تدخر فرصة في تحذيري من مداعبته مني.. حركت نظري بالاتجاه الذي كانت تنظر إليه فرأيت أبي ينضو منامته عن عريه، تركز نظري على وسطه.. أسفل بطنه كان ذلك الشيء.. لم يد لي شيئا إنسانيا، لا ليس إنسانيا بالمرة فكل ما يستطيع منا يتجه إلى الأسفل إلا هذا الذي يمتد إلى الأمام متحديا قوى الجاذبية.. مدق الهاون النحاسي الذي كانت تحتفظ به أمي في المطبخ، كان اول ما خطر ببالي حين رأيته، ولكن ذلك الشيء لم يكن نحاسيا.. لم يد كذلك، بل كان جزءاً من جسد أبي!.. وقفت ذاهلة في مكاني لا أعرف ما أفعل حتى رأي أبي فجمد هو الآخر لا يعرف ما يفعل هو ايضاً، حانت مني نظرة إلى أمي فرأيتهما وقد غطت جسدها واستحالت السعادة في عينيها إلى رعب وهي تتطلع إلي.. أدركت أنني قد تجاوزت حدودي فهربت.. ركضت إلى غرفتي ولجأت إلى سريري حيث غطيت رأسي وبقيت أرتجف وأنا أحاول أن أقيّم فداحة ما فعلت وأخمن ما العقوبة.. حين أتى أبي بعد قليل وقد أعاد لبس منامته، تظاهرت بالنوم وأبيت أن أفتح عيني رغم مناداته لي باسمي.. بدا صوته رقيقاً فهدأت مخاوفي قليلاً ولكني لم أرد.. شعرت به يقف قريباً مني قبل أن يقبلني على جيني ويذهب.

لم تشعرني تلك القبله إلا بالاشمزاز.. نعم يا موت، هذا ما شعرت به، وبم تريدني أن أشعر وأنا أستجمع معلوماتي الضئيلة عن

الأمر التي جمعتها من أحاديث صديقاتي ومن حرمة تلك الأشياء التي علموني إياها أهلي.. لا تلعب بهذا ولا تداعب ذاك.. أنا لم أضيظهما متلبسين، ولكن كان الأمر أكثر من واضح رغم عمري الصغير، كانا يتهيآن لعمل الفاحشة.. أمي وأبي كانا في سبيلهما إلى الفسق.. أبي أنا! وأمي أنا! يفعلان ما كانا يخشيان علينا من فعله.. هذه تداعب وذلك يخرج سيفه.. يا لله يا موت كيف كان يمكنني أن أتقبل الأمر وأنا أرى هذين الانسانيين اللذين صدعا رؤوسنا بمحاضراتهما عن الأخلاق والفضيلة وهما يستعدان ليمارسا ذلك الفعل الأدنى الذي لا يقترفه إلا أسوأ الناس.. هيا تصور معي كيف يمكن أن يكون وقع هذه الجملة على وجدانك وأنت طفل في العاشرة من عمرك.. (أبوية ينيج أمي).. كيف يمكن لعالمي الصغير أن يصمد وأنا أكتشف فجأة أنني بنت أسوأ الناس؟.. بكيت ليلتها كثيراً وأنا أفكر بصديقاتي.. كيف سأواجههن في الغد وأنا محملة بهذا السر الفظيع؟!.. تباً، كيف أمكنهما فعل ذلك بي؟!..

طبعاً، أنا لا أتذكر كيف تمكنت فيما بعد من تجاوز الأمر، رغم أن صورة والديّ قد خُذشت عندي بعد تلك الليلة.. ولكن صورة واحدة بقيت واضحة في بالي وأبت أن تغادر ذاكرتي.. صورة ذلك (المدق) الذي يخفيه أبي بين طيات ملابسه، لم تبارح صورته ذهني أبداً منذ ذلك اليوم.. وبقي سؤالي حائراً في وجداني.. كيف يمكن للرجال أن يخفوا ذلك الشيء الهائل عندما يكونون مرتدين ملابسهم؟! أيمن أن يكون قابلاً للنزع ولا يلبسوه إلا حين يريدون أن يفسقوا؟! ولكني كنت أعرف جيداً

أننا معشر البشر لسنا دمي ويستحيل نزرع أعضائنا ولبسها، فكيف يحدث هذا؟.. هذا ما لم أعرفه إلا بعد أن تزوجت!.. أتعرف، حين أغويت أخي وأقنعتة بأن يلعب معي في ظهيرة يوم حار جداً.. لم يكن يسمح لنا بالخروج من البيت إلا مع العائلة ولذلك كان لا بد من قضاء معظم الوقت في عطلاتنا الصيفية في البيت إلا إذا سافرنا أو ذهبنا لزيارة أقارب أو أصدقاء، وأنت تعرف أن الوقت يكاد لا يمر عندما تكون طفلاً محاصراً في البيت.. المهم هو أنني فكرت في تلك الأيام، بعد أن بدأت تلك المشاعر الجديدة تتحكم بجسدي، ومزاجي أحياناً، أن أستفيد من أخي لأنه الذكر الوحيد المتاح لي في ذلك البيت الكبير، تأكدت من نوم أمي في يوم لم يأت فيه أبي من عمله لمشاغله الكثيرة، وكذلك تأكدت من نوم אחتي لأنني لم أكن أحتاجها.. أغلقنا باب غرفة الضيوف علينا وأقنعت المسكين بأننا أنثى وذكر في يوم عرسهم، وعندما طلبت منه أن ينزع ملابسه كما أفعل وافق فوراً ولكني لم أسرف لأن كل نزقي وجراقي لم يكونا يسمحان لي أن أتجاوز فكرة المحرمات التي غرست في أعماقي.. بقينا بملابسنا الداخلية وجعلته ينام إلى جانبي.. أقنعتة بأن يلامس نهدَي الوليدين فذلك كان أقصى ما أستطيع تصوره عما يفعله العرائس في ليلتهم الموعودة.. حين التصق بي وهو يمتثل لأمرِي، شعرت بصلاية شينته وكأنه يحاول اختراق فحذي، فتذكرت المدق الذي حيرني وتصورت أن هذه فرصتي لأعرف ماهيته، وحين فكرت بأن أمد يدي لأكشف عنه، سمعت الصرخة الهائلة.. ياه يا موت، عانيت طويلاً مما حدث في ذلك اليوم الرهيب، ويتعيني جداً أن أستذكره

الآن ولكني وعدتك بأن أخبرك عن كل شيء، وسأفعل.. كانت صرخة أمي التي ما أن رأيته واقفة فوق رأسي وقد هاج الغضب في عينيها، حتى شعرت بدفع البول بين ساقي، ولكنها لم ترحمني بعد أن فرّ أخي فراحت تضربني بكل قواها وكانت المرة الأولى التي أتعرض فيها إلى عقوبة جسدية، ولكن الذي أرعبني حقاً كان صراخها، فقد بدا لي في تلك اللحظات الرهيبة وكأنه صوت الله الغاضب من عظم ذنبي الذي اقترفته، وهي تخبرني عن جهنم التي أنا ذاهبة إليها بكل تأكيد.. لم ترحم ضعفي ولم تأبه لدموعي ولا لرعبي الذي لا أشك أنه كان واضحاً وأنا أتوسل إليها وأقبل يديها التي كانت تضربني بها.. هي لم تكف عن الضرب حتى كَلَّت يداها، وعندها هربت من أمامها لأنزوي تحت السلم كالكلب الذليل وأنا أحاول تصور هول ما اقترفت.. بقيت هناك، وكانت هي تمر بي بين الحين والآخر فأرى نظرات الله الغاضبة في عينيها فيزداد بؤسي.. رحمني سلطان الكرى وأنا هناك، وعندما استيقظت وجدت نفسي في سريري وقد ألبسني أحدهم منامة وبدّل لي لباسي الداخلي المبلل.. لم أسأل نفسي عمن فعل ذلك، بل انشغلت بقراري الذي اتخذته حال يقظتي، فقد حان وقت الحجاب الذي لطالما أقصّيت مضجعي فكرة ارتدائه.. قررت يومها أن أرتديه وأن أستعين بأداء واجباتي الدينية لعلّي أستطيع أن أنقذ ما تبقى من حطام روحي البائسة.

طبعاً لم يكن لمثل هذا القرار أن يمر مرور الكرام على أبي الذي لم يكن متديناً، فرغم سعادة أمي الهائلة بقراري، حتى إنها ساحتني فوراً، إلا أن أبي رفضه، ولم يدعني أرتدي الحجاب وأنا

بذلك العمر أكثر من يومين، ولكني لم أسه عن صلواتي ومواقيتيها رغم ذلك لأنني كنت أعرف حينها أن الله نفسه هو ملاذي الأخير قبل أن أضيع في الجحيم نهائياً.. أصبحت مصلية متعبدة ولكني لم أنس يوماً أن أختلس النظر إلى وسط أي ذكر يمكن أن ألتقيه لأرى أثر تلك اللعنة التي خلدت في ذاكرتي منتصبة.. آه يا موت كم مزقني ذلك الحال وأرعيني فقد تأكدت من أن الشيطان قد سكنني نهائياً ولن تفيدني صلواتي بشيء، بل لعل أدائي لها يضاعف من ذنبي الذي لا يغتفر.. أقرر وأنا أصرّ على أسناني أن أكون نقية وملتزمة، ولكنني ما أن أسهو قليلاً حتى أجدني متلبسة (بالبصصة) وأنا أتساءل مع نفسي إن كانوا يربطونه بأفخاذهم بطريقة ما، أو يلصقونه رغم أنه لم يبد عليه أنه من النوع القابل للطي!..

بقي السؤال حائراً في داخلي حتى تصورت ذات فرصة أي واحدة الجواب، عندما وجدت نفسي صيدلانية متدربة في مستشفى بعد تخرجي من الكلية، بذلت أقصى جهودي مع صديقتي الجديدة الطيبة المقيمة في نفس المستشفى، بل توسلت بها لإستحصال موافقة لي على حضور عملية جراحية لنزيل شاب.. طبعاً كان السبب المعلن لرغبتني هو علمي بحت، ولكني لم أكن أريد غير أن أرى ذلك الشيء من كذب لأكتشف سره.. نجحت صديقتي في مسعاها من أجلي، فدخلت، وفي صالة العمليات ناورت مراراً وتكراراً مدعيةً أي أحاول أن أبعد عن طريق الأطباء المشغولين بالعملية، فيما كنت بالحقيقة أتحين الفرصة لأراه رغم أي كنت قد فقدت حماسي قبلها لأن الخرقه التي غطي بها لم تكن

مرفوعة كما كان يفترض بها.. وعندما تسنى لي أن أراه، لم يبد لي
إلا كأفعى صغيرة خائفة.. أو دودة كبيرة، وهي تحاول أن تستجير
بما بين ساقي الشاب.. كان شيئاً يفتقد إلى العنفوان الذي ألصقته
به في خيالاتي الممتدة منذ سنوات طويلة.. لا انتصاب ولا صلابة
وعندها أدركت عظم مأساة هذا الشاب المسكين الذي مات منه
هذا الجزء المهم والحيوي!.

تابعت صوت الهاتف وهو يرن في الطرف الآخر حتى أتاها
صوت سهاد وهي تقول:

- (هلو هيفاء).

فقال بأقصى ما تستطيعه من ثبات بعد معاناتها الطويلة من
التردد قبل أن تتصل:

- أهلا سهاد.

- (شلونج عيني؟)

- (زينة)

ثم سكنت قليلا قبل أن تضيف:

- (ما أدري)

- (ليش ما تدرين؟.. إدري).

- (راح أتجبل سهاد)

- (لج ليش؟)

- حاولت أن أهني نفسي، ولكنني فشلت.. نيران رغباتي
متقدة وجسدي يصطخب.

- لقد قلت ما عندي يا عزيزتي، والقرار لك.

- (لج عيني اخاف)

فسمعت قهقهة عالية عبر الهاتف قبل أن تقول

سهاد:

- (ليش تخافين؟.. خايقة لا تجبلين مني؟!)

- ابتسمت حين سمعت ذلك، ولكن بالها كان مشغولا بملاحظة
 أن سهاد لم يعد يهمها أن تخفي نياتها.. قالت بجدية:
- لا سهاد.. ما تدعوني إليه لم يخطر لي ببال.
 - وهل ستلتقين يوميا بمثلي؟.. طبعا لا يخطر لك ببال..
 - اسمعي جيدا هيفاء، أنا جادة طبعا، ولكن صدقي، لو
 كانت هناك أية مخاطرة لما عرضت عليك الأمر.
- قاطعتها هي قائلة:
- أنا فقط لا أستطيع أن أتصور الأمر.
 - اسمعي فقط الآن.. لقد فقدت شريكتي مؤخرا.. خانتني
 فطردها.. كنت أحبها كثيرا، وطبعا أغار عليها، ولكنها لم
 تفهم ذلك.. أنا يا هيفاء مخصصة لأحبيتي، فإن وافقت
 ساعاملك كحبيبة، (وأخليج بعيوني).
 - مرة أخرى لم تجد ما تقوله، فتابعت سهاد قائلة:
 - عرضي لكلينا.. ارجوك افهمي.
 - لم تستطع إلا أن تنتبه لنبرة الصدق الواضحة في كلمات سهاد،
 فزاد ذلك في محنتها.. في أعماقها، كانت تريد التجربة لأنها شبه
 متأكدة من عجزها عن إيجاد بديل ذكري عن زوجها، ولكنها لم
 تستطع أن تتقبل فكرة سهاد ولذلك بدأت تبكي من شعورها
 بالقهر.. قالت من بين دموعها:
 - لا أعرف يا سهاد.. لا أعرف.
 - فأثارتها صوت سهاد الواصل قائلا:
 - لا بأس هيفاء.. حين تعرفين، اتصلي بي.

لم لا ترحمني يا موت، فتأخذني فوراً؟.. أنا لم أعد أعرف ما أفعل مع نفسي وهي تورديني موارد لم أكن أريدها لنفسي، فهي تقربني من استهلاك احترامي لها.. بل تكاد ترغمني على اقتراف كل ما كنت أخشاه عليها.... كن أنت الحكم بيني وبينها هذه المرة، رجل عاملني بكل احترام وانصاف.. خدمني فأبان لي خطئي ومدى سوء ما كنت أقترف، تصدى لغبائي وأنقذني من موقف عصيب لم أكن لأرتضيه لكرامتي، موقف كنت لأوقع نفسي به لولاه.. كان صريحاً معي وأخبرني بأنه لا يحبني، ولا مطامع لديه عندي، ومع ذلك أحببته، وهأنذا لا أدخر وسعا لامتلاكه لنفسي.. لا لنفسي، فهو رجل عصي على الامتلاك، وهذا أمر شديد الوضوح حتى لغبية مثلي، ولكن جسدياً في الأقل.. آه يا موت، يبدو أنني قد أدمنت ملذات الجسد إلى حد اللامبالاة بكل ما عرفته من قيم وعادات قد تكون بالية، ولكنها ضرورية لمجتمع مثل مجتمعنا ولا يحق لنا أن نتجاوزها بسهولة.. ولكن اللعنة، فأنا اشتهيته.. اشتهيته بشدة.. نعم يا موت، أنا أشتهي حيّان ولن يهنأ لي بال حتى أراه بين ساقبي وأنا أتمتع بمرأى علامات الشبق التي ستغزو ملامح وجهه الجميل.. ولكنه لن يفعل، أنا أعرف ذلك ولكنني لا أستطيع أن أتوقف فبالأمس حلمت بأنني أدق شيئاً ما بماون أمني.. أدق فقط، ولكنني استيقظت مبللة تماماً وحيّان ملء تفكيري.. يا الهي، كيف أصبحت هكذا؟! كنت والله فتاة طبيعية،

بل كان الذي اطلعت عليه من اسرار صديقاتي يؤكد أن الكثيرات منهن قد مررن بتجارب جنسية قبل الزواج، وهذا لم يحصل لي.. كيف أصبحت هكذا الآن؟! لا يبدو الأمر منطقياً، ولكن عن أي منطق أتكلم، فهذا ما حدث.. ومع ذلك، كيف حدث؟.. أتعرف، طوال مدة علاقتي بحبيب، لم يلمس يدي ولو مرة واحدة، ولم أمسسه أنا أبداً.. حبيب، زميلي الذي تعرفت عليه في سنتي الجامعية الثالثة واستمرت حتى التخرج.. تقابلنا، تقاربنا واستمررنا.. لا كلمات غزل، لا ملامسات.. وطبعاً لا قبلات.. نحن لم نعلن شيئاً ولم نخبر أحداً، ولكن الجميع فهموا، حتى إن زملاءنا كانوا يمتنعون عن الجلوس بجانبني في أي مكان عندما أكون لوحدي، لأنهم يعرفون أن الكرسي الشاغر بجانبني محجوز لحبيب بلا حاجة إلى إعلان.. أكانت علاقة حب عذري من جانبه، لا أعرف فحن حتى لم نتكلم عما يربطنا حقاً، ولكن هذا لا يعني أنني كنت عذرية، لا يا موت، هو لم يمسنني ولكنني استقبلته مراراً في أحلامي، وفعلت كل شيء معه.. إلا الجنس الحقيقي لأنني لم أكن أعرف كيفية ممارسته!

بعد التخرج، اختفى حبيب.. بلا وداع.. بلا وعود وبلا خطط، اختفى.. سافر إلى أهله في محافظتهم، تاركاً إياي لحزني، ولكنه كان حزناً بلا معاناة.. بلا آلام.. فقط حزن شفيف عرفت أنني متجاوزة إياه لا محالة بمرور الأيام، ولكنه ظهر فجأة بعد أشهر.. زارني في المستشفى التي نسبت إليها بعد التخرج بعدما تحرى عني طويلاً، وسأل أصدقاءنا المشتركين.. فرحت به واستقبلته خير استقبال وقد أتاني عارضاً الزواج الذي يعتبره

النهاية الطبيعية للعلاقة التي ربطتنا طوال أعوام، وطبعاً وافقت فوراً وخضت معارك صغيرة في البيت مع أمي من أجل الاعداد لزيارة أهله لنا لطلب يدي.. هي أقنعت أبي المتردد، فوافق في النهاية، وأتوا.. آه يا موت، كيف يمكن للأهل أن يكونوا قساة هكذا.. هم يدعون طوال الوقت أن سعادة أولادهم هي ما تهمهم، ولكنهم لا يتصرفون على أساس ذلك!.. لقد رفضه والدي، وأتعرّف لماذا؟.. لأن الرجال أتوا بزيهم العربي التقليدي.. طبعاً أنكر والدي أن هذا كان هو السبب، ولكنني على يقين من أنه هو.. أنا لا أعرف إن كان ذلك طائفاً أو طبقياً، ولكن المهم هو أنهم رفضوا حبیب فسيبوا لي أزمة نفسية خطيرة بعدما كدت أنساه قبل ذلك.. ومع ذلك، تجاوزت الأمر في النهاية، ولكنني لم أنس ما فعلوه بي.

بقلب مرتجف، ضغطت على زر الجرس، وسرعان ما فتح الباب لتظهر سهاد، فكادت تسقط أرضاً من الاضطراب.. بدت سهاد فائقة الجمال في نظرها بشكل غير متوقع.. كانت متزينة وكأنها على موعد مع حبيب!.. احتضنتها سهاد وقبلتها وهي تهمس:

- لم أصدق اذني حين اتصلت.. أهلاً بك يا حبيبي.

قادتها إلى حيث جلستا في المرة الأولى.. سألتها إن كانت ترغب بشرب شيء ولكن معدتها لم تكن مستعدة لتقبل شيء، شعرت بما وكأنها قد تحولت إلى صخر.. رفضت فجلست سهاد قريباً منها.. ابتسمت لها.. ردت الابتسامة، فازدادت قرباً.. تساءلت في داخلها "ما الخطوة القادمة؟!" ولكنها فوجئت بسهاد وهي تنشد بصوت منخفض ولكنه عميق إلى درجة أنها شعرت به وكأنه صادر من غور لا قرار له:

(مطر، مطر، وصديقتها معها ولتشرين نواحُ

والباب تنن مفاصله ويعربد فيه المفتاحُ

شيء بينهما.. يعرفه اثنان، أنا والمصباح)

تساءلت:

- ما هذا

أجابت سهاد على الفور:

- شعر.

ثم سكنت قبل أن تضيف بعد هنيهة وقد شاب صوتها بحجة مفاجئة:

- نزار.

فقلت هيفاء وهي مضطربة:

- أها، نزار.. (أبو النسوان)

فقلت سهاد وهي تركز نظراتها عليها بطريقة موحية:

- وهل هناك أحلى من (النسوان)؟

قبل أن تضيف بعد قليل:

(والهمس مباح كطيور بيض في دغل تتناقر.. والريش سلاح

حبات العقدين انفرطت من لهو، وانهد وشاح)

اختلط الأمر على هيفاء إذ لم تكن تعرف ما تفعله.. شعرت

بجحج، ولكن سهاد كانت قد إزدادت اقترابا منها وراحت تربت

على شعرها بجنان واضح، ابتسمت لها يوهن، فأنشدها هذه:

(فاللحم الطفل، يחדشه في العتمة، ظفر سفاح

وجزاة شعر.. انقطعت فالصوت المهموس نباح

ويكسر نهد واقعه.. ويشور، فللجرح جراح..

ويموت الموت.. ويستلقي مما عاناه المصباح.)

عرفت أنها قد وصلت إلى النقطة الحرجة فيها هي سهاد تتحدث

عن نهد ولحم وعتمة! ولكي تزداد يقينا، كانت سهاد قد التصقت

بها ويدها الممدودة من خلفها تمسك بكفتها البعيد عنها.. شعرت

بدفء يتسرب إليها من جسد سهاد الملاصق.. تذكرت وجه سلمى

المشمئز وهي تتحدث عنها.. تذكرت كل الأقاويل التي سمعتها عنها،

ولكنها ولعجبها لم تشعر بالخوف ولم تشعر بغرابة الموقف، بل

شعرت وكأن الحرارة قد تسلفت من بين ساقها وراحت تغزو أنحاء

جسدها.. شعرت وكأنها مسلوكة الارادة إلى درجة أنها لم تستطع أن

تعرض حين بدأت سهاد تقبل أسفل عنقها وتعض شحمة أذنها برقة
جعلت شحنات كهربائية لذيدة ترتحل على طول عمودها الفقري
بسرعة وجنون.. همست سهاد بأذنها بصوت بدا لها كالفحيح وهي
تكاد تعتليها:

(يا אחتي، لا.. لا تضطربي انني لك صدر وجناح

أتراني كنت امرأة لتمضغ فهدى الأشباح

أشدوذ.. أختاه إذا ما لشم التفاح التفاح

نحن امرأتان.. لنا قمم ولنا أنواء.. ورياح)

شعرت وحواسها تكاد تتبلد بسبب الرغبة العارمة التي بدأت
تتملكها، بحاجتها الى قول شيء.. أو أن تبدي إعتراضا في الأقل،
ولكنها لم تجد في زحمة أفكارها المضطربة ما يقال، فلم تنتبه إلى أنامل
سهاد الماهرة وهي تحرر زر قميصها الثالث لتمرر يدها الخبيرة إلى
حيث تنتصب حلمتها المتحفرة!

عدت إلى حياتي الجديدة بعد التخرج وأنا متهيئة للجانب العملي منها التي كنت آمل أن أمسك بزمامها جيدا لكي أستطيع أن أسيطر على قدرتي أكثر.. ولكن، هل كان لهم أن يدعوني أفعل، طبعاً لا، فمهمة أهلنا أن يخربوا لنا مخططاتنا.

بعد أشهر قليلة، ظهر (عواد) في حياتي.. عواد المدلل، ابن العائلة الغنية الذي اعتبره أهلي ضماناً أكيدة لحياة سهلة ورغيدة لي.. لم يهتمهم فشله الدراسي، أو ما يبدو عليه من بلب.. لم يأبهوا لنوعيته، ولا لرأيي.. فقط اعتبروه حظاً طيباً، وفرضوه علي..! تصور يا موت، والدي الذي اعتقدته طوال عمري مثلاً للرجل الواعي والمتحرر، يقف مني ذلك الموقف ويختار لي (عريسا) بتلك الطريقة البائسة، وأي عريس!.. أنا لن أنسى ما حييت لقائي الأول به.. بل فجيعتي الأولى، عندما رأيت مقاييسه الشاذة.. أقصد مقاييس جسده، فقد كان قصير وبطين ولم أشك لحظة واحدة في أنه سيستحيل إلى مكعب ما أن ينمو كرشه أكثر.. لجأت إلى وجهه لعله ينجدني، ولكن شدة بياضه وشقرة شاربه الذي يكاد لا يرى أشعراي بالمزيد من الاحباط، ولم استطع إلا أن أتساءل مع نفسي "أين هذا الوجه من سمرة حبيب، وشاربه الأسود الكثر؟!".. رفضته حال رؤيتي له، واصلت ثورتي، ولكن احتجاجاتي لم تجد أذناً صاغية عند أهلي، فقد اعتبروا رفضي مجرد ردة فعل لأنهم سبق وأن رفضوا حبيب، فقرروا عني!.. منعوا عني

حق الاعتراض وأعطوا لأنفسهم حق القرار، ولم تمض إلا أشهر معدودات حتى وجدت نفسي زوجة لهذا الكائن الغريب المسمى (عواد)!.
تزوجت عواد، ولا بد أن هذا يعني أنني قد حللت لغز ذلك

(الشيء) أخيراً.. نعم لقد حللته، ولكنني لم أنتظر حتى ليلة الزفاف لأواجهه، فقد شاء سيدي الجديد أن يسرّع بلقائي به.. طلب مني ذات يوم أن أرافقه إلى البناء الذي علت جدرانها في حديقة بيت أهله الواسعة كبيت مستقبلي لنا، أنا وهو.. إدعى أنه يريد أن يستشيرني في مسألة الستائر التي سنشتريها، فذهبت معه وكانت تلك هي المرة الأولى على الإطلاق التي يحتلي فيها بي بالرغم من مرور أشهر على عقد قراننا.. عندما ضمنا البناء المضمخ برائحة الحداثة، لاحظت فوراً تغيرات في تصرفاته لم ألاحظها من قبل.. حمرة وجهه.. بحة صوته وتأناة في الكلام جعلته يبدو وكأنه يبذل جهداً هائلاً ليركز على ما يريد قوله.. لم أفهم في البدء، ولكنه ما أن احتواني فجأة بذراعيه حتى فهمت، فتلقيت شفتيه المرتجتين بشفتين مزومتين.. لم يفلح لسانه في اختراق دفاعات شفتي المطبقتين بإحكام، ولكنني لم أحاول أن أتخلص من حصار ذراعيه، فقد شوشت تلك الصلابة التي تحتك بأسفل بطني، تفكيري.. أهو ذلك الشيء.. وما قد تكون غيره.. هل كنت مستثارة؟.. هل هاجني الشبق؟ لا أستطيع أن أجيبك يا صديقي، فقد اختلطت في حينها مشاعري ولم أعد أعرف ما أريد، أو أعرف كيف أتصرف.. كان يردد وهو يحاول ثقب ملابسي بشيء "لا تخافي يا حبيبي فقد أصبحت زوجتي"، فيما كنت أتساءل مع نفسي كيف سيفعلها،

فقد لاحظت فور دخولي خلو المكان من سرير أو فراش.. أكان يريد أن (يبطحني) على هذه الأرض المتربة، بين مواد البناء المتراكمة من حولنا؟!.. لم أجرؤ على سؤاله، ولكنني رفضت السماح للسانه بالتسلل إلى فمي.. ولكن ذلك كان إلى حين، إذ لم أكن مؤهلة بعد لأصمد طويلاً.. ولكن صدقني أنني قد قاومت.. قاومت ببسالة، ولكنه الجسد يا صديقي.. الجسد حين يتآمر علينا مع مشاعر الكبت والشعور بالحرمان.. لم أفكر بكيف سيفعلها ولا أين، فقط وجدت نفسي فجأة مشغولة بكيف سألقاه.. ألقى ذلك الشيء الذي حيرني لسنوات طوال.. أيقنت أنني ملائمة إياه لا محالة بعد أن سمحت للسانه أن يلج فمي، وقد لاقاني، ولكنني لم أراه.. لاقاني واخترقني من دون أن أراه، فقد أدارني (فحلي المبجل) وجعلني استند على الحائط بيدي وسحب وسطي باتجاهه.. سمعت صوت ملابس تنزع! بدأ الهواء يداعب مؤخرتي، شعرت بخط دفاعي الأخير وهو ينزع.. ثوان طالت كثيراً!.. ألم خفيف ولاسع، شيء ما يقتحمي، صوت لهاث، ودمدمة لم افقه منها شيئاً.. تسارعت الأشياء.. بدأ يدفعني بعنف باتجاه الحائط، صوت وكأنه قباع خنزير، صرخة مخنوقة، ثم حل الهدوء!

لم يكن ما يظهر على وجه همام المضطرب، الذي تراه كلما أطلت حزمة ضوء على داخل السيارة المظلم، هو ما يشغل بالها، بل كان ذلك البلب الذي بدأت تشعر به بين ساقها، هو السبب.. التزمت الصمت والسيارة تقضم مسافات من شارع الخط السريع شبه الخالي، بسرعة.. كانت في تلك اللحظات تفكر بما حدث منذ أن وطأت قدمها أرض بغداد التي عادت إليها بعد سنوات من فراق وهي مصممة على ما أتت من أجله.. تصورت أن كل المطلوب منها هو أن تسمح لرجل غريب باختراقها لكي يكتمل انتقامها، ولكنها ما أن رأت همام الذي كان ينتظرها أمام المول بعد أن فارقت هديل، حتى أدركت أنه سيكون له شأنًا أعمق معها.. بدا لها أصغر سنا مما كان يبدو في صورته على الفيسبوك.. أوسم ووجهه أكثر براءة!

خلال تبادلها الحديث في المقهى الذي لجأ إليه لأنها رفضت أن ترافقه في سيارته منذ أول لقاء، بدا لها لطيفا جدا ومؤدبا، الأمر الذي أربكها وبلبل أحاسيسها وشعرت لأول مرة بأن حماسها قد قلّ لفكرتها التي عملت على هديها منذ أن امتلكتها بذرتها.

لاحظت أن أضواء الشارع قد اختفت من حولها، ولم يعد ثمة غير ضوء السيارة في الخارج وهو يحاول شقّ حجب العتمة المسيطرة على الدرب الذي يسيران به.. فجأة، رأت جنديا مسلحا واقفا في وسط الشارع ومحاطا بإطارات سيارات قديمة وصفائح وأشياء كان واضحا أنها جمعت من مخلفات الشوارع.. لم تسمع ما قاله لهما

حين توقفت السيارة بقربه، ولم تفهم ما دمدم به همام مجيباً، ولكن نظرة الجندي إليها أشعرها بالانزعاج.. بل بخوف، ولذلك قالت لهمام بصوت حاولت أن يكون حازماً، بعدما ابتعدا عن السيطرة:

- إياك أن تفكر بذلك يا همام!

لم تستطع أن تتبين ملامح وجهه، ولكنها شعرت بارتبائه حين قال وهو يكاد يتلعثم:

- آسف يا عزيزتي.. أنا فقط لم أنتبه.

ابتسمت في سرها لوضوح كذبه عن الانتباه، ولكنها حين بادرت إلى الاستدارة بالسيارة ليعود بها إلى حيث الأضواء التي تركوها، شعرت بالعطف عليه.. قالت:

- إن كنت (ملهوفاً) إلى هذه الدرجة، فلمَ لمَ تحسب حسابك؟!

قال هو بعد ثوان:

- لم أتوقع هذا التطور!

ثم اضاف بعد ثوان أخرى:

- أنت تفاجئيني في كل لحظة!.

ضحكت بصوت مسموع وقالت:

- أنا عراقية محسنة.

فضحك هو الآخر وقال:

- (محسنة ونص).

أدركت أنه لم يفهم قصدها فقالت:

- قصدت أن أمريكا قد اضافت إلي الكثير.

- أها.. فهمت.. شكراً لأمريكا.

ضحكت بصوت خافت هذه المرة وقالت:

- والآن.. ماذا تنوي؟
- لا أعرف حقيقة يا فاتن، لو توقعت لتمكنك من تأمين مكان لنا فهذا سهل علي.. فقط أنا لم أتوقع.
- لم تتوقع، أم لم تحلم؟
- بل كنت كلي حلم، وهل هناك أحلى من هذا الحلم.
- فضحكت مرة أخرى لقوله، ولكنها لم تحاول أن تعلق لأنها شعرت بأن (بللها) قد زاد فحمدت للظلمة سترها، فقد تصورت أن ذلك الليل قد اخترق قماش (بنطلونها) وكان ليراه لو كان ثمة ضوء في داخل السيارة.. كانت تريده بشدة في تلك اللحظات بعد سنوات الحرمان الطويلة التي عانتها، ولكن أن يفعلها في السيارة وفي تلك الظروف كان أمرا مستحيلا بالنسبة لها.. قالت بجرأة بدت لها غريبة على مسامعها:

- أما من حل؟

فرد بصوت تكاد نبرة البكاء تكون واضحة فيه:

- الآن.. مستحيل.. لا أستطيع تدبير شيء.
- راح عقلها يدور بسرعة وبراكين رغبتها تكاد تنفث حمما حقيقية.. كانت تفكر بحل سرعان ما بدا لها أنه موجود.. وسهل.. كان متوفرا ببساطة ولكنها لم تنتبه.. شعرت بسعادة غامرة وقالت فوراً:

- وإن حللتها لك؟

فلم يقل غير:

- (أبوس إيدج)

فضحكت وقالت:

- (عند عيناك).. فقط قُدْ.

ثم عادت إلى أفكارها لتطمئن إلى صحة قرارها.. كانت أمها منذ وصولهما إلى بغداد تنام مبكرا جدا بعد أن يأخذ منها التعب كل مأخذ من مشاوير النهار.. تلجأ إلى الفراش مع غروب الشمس وهي تلعن (الساعة البيولوجية).. وكذلك كان حال خالتها العجوز التي استقبلتهما في بيتها الذي تسكنه لوحدها، كانت تنام مثل (الدجاج) كما تقول عن نفسها.. وهكذا حلت المسألة.

جعلته ينتظر في السيارة التي اوقفها أمام البيت بعدما دلته عليه.. فتحت الباب بالمفتاح الذي أعطتها إياه خالتها لتستخدمه عندما تعود متأخرة أحيانا.. اخترقت الصالة المظلمة مسرعة، وصعدت السلم وهي تكاد تسمع دقات قلبها الوجع.. لم يطمئن سماعها لشخيرهما حتى قرّت عينها برؤيتهما نائمتين كتمثالين.. اسرعت إلى الغرفة الملاصقة حيث أبدلت بنظولهما المبلل بتنورة تناسب مع الأمر الذي عزمت عليه. نزلت مسرعة إليه ودعته للدخول.. لم تنر أضواء الصالة بل وقفت تنتظره حتى أغلق الباب من ورائه والتفت إليها ليحتضنها ويلتقم شفيتها فوراً.. اندجما في قبلة طويلة كاد خلالها أن يلتهم شفيتها الملتهبتين شبقاً.. كان يحتضنها بشدة جعلتها تشعر بصلابته على بطنها، وما أن أرخى ذراعيه من حولها حتى ذهب إلى الأريكة لتستلقي عليها، ولكنه قال بصوت هامس وأجش:

- لا أرجوك.. لا أريد أية مفاجآت.

قالت بهمس هي الأخرى:

- ماذا تقصد؟!

لم يجبها، بل اقترب منها ليسحبها من يدها التي استسلمت له..
ذهب بها الى منتصف الصالة حيث أمكنها أن ترى درجات السلم
المضاء وهناك أدارها برفق وجعلها تنحني على الطاولة الصغيرة
المنخفضة.. فهمت، وأمثلت.. تعجبت من نفسها وهي تنحني إلى
الأمام إذ لم تتصور أنها يمكن أن تتخذ ذلك الوضع بهذه السهولة في
مثل هذه الظروف!.. ومع مداعبة صوت حفيف تنورتها وهو يرفعها
إلى الأعلى، لأذنيها، أغمضت عينيها!.

تزوجني عواد.. بل امتلكني بالأحرى لأن الزواج عقد بين اثنين، وأنا لم أكن موافقة، وازداد رفضي له بعدما فعله بي، فقد زرع بذرتة في داخلي وأنا واقفة في ذلك البيت الذي لم يكتمل بناؤه.. فأتني الدورة فأبلغته.. كاد يجن فأسفر عن وجهه الحقيقي، فقد ثار عليّ، واتهمني بكل باطل تبادر إلى ذهنه المريض في حينه، وكأنني أنا الذي ولجته في ذلك المساء الذي خلد كتيبا في ذاكرتي، لا هو!.. الحقيقة هي أنني عندما تأكدت من حملي، فرحت، ولم لا أفرح وقد نلت ما أبتغي شرعا، أليس هو من زوجي الذي أزال بكارتي بـ (محراثه)؟.. هو قال لي ذلك عندما كان يريد اجتياحي، ولكنه رفض أن يستمع إلى كل توسلاتي للإحتفاظ بالجنين الذي بدأت نبضاته تتردد في أعماقي.. كان نتاج ذلك الاجتياح، ولكن تبين لي أنه كان آثما، حسب مفاهيمه هو التي تكشف عنها.. رفض نهائيا أن أحتفظ به، فعبرت عن استغرابي، قال "ما نقوله للناس؟".. فأين كنت من الناس حين (صخمتني)؟، يقول لي التقاليد، الأعراف.. أية تقاليد وأعراف يا ابن الخاسئة وأنا شرعا زوجتك كما قلت؟.. يخذله منطق، فيرتفع صوته.. يصرخ!.. آه يا موت كم كنت غبية وأنا أحاول أن أدفع بحق الشرع باطل الأعراف.. بل كنت جاهلة لأنني لم أعرف قبل ذلك أن الأعراف في مجتمعنا أقوى من الدين نفسه!.. أصرّ على اسقاط الجنين، فجئن جنوني لتولد حينها (هديل) أخرى لم أكن أعرف بوجودها..

أرعدت وأزبدت، ولكن الخوف من الفضيحة أجمعها في النهاية، لا الفضيحة أمام الناس، بل أمام أبيها الذي لم يسمع بكل ما حدث لها.. اتفقوا هو وأمه مع والدتي على أن أبات عندهم ليلة بحجة ترتيب أمور بيتنا المستقبلي، فاستباحني بذلك مرتين بنفس الحجة! إذ أخذوني في عصر ذلك اليوم إلى تلك العيادة الرهيبة.. مجرد صعود سلمها الحقيقير بدا لي كأنه كابوس، ولكن ما أهونه من كابوس إذا ما قيس بما عانيته داخل العيادة، بل قل الماخور المليء بالندس والقذارات، ذلك كان إنطباعي عنها والذي أكدته (الدكتورة) نفسها.. يا لله، دكتورة!.. كانت بشعرها الأشقر، المصبوغ طبعاً، و(ماكياجها) الذي تحاول أن تخفي به قبح وجهها العجوز، فزادته قبحاً، تشبه أي شيء إلا أن تكون طيبة.. حين أقبلت عليّ، شعرت بها (غوادة) لأنها كانت تشبه (المعلمات) في الأفلام المصرية.. أقصد المعلمات في الملامي والكباريات اللواتي يخاطبهن المخشون بـ (يا أبليتي).. معلمات (الهشك بشك)، ولكن آه لو تعرف ما فعلته بي هذه الـ (غوادة) وهي تدخل أدواتها المعدنية في (فرجي).. كنت اشعر بالألم بين ساقي وفي بطني، بل حتى في رأسي الذي كاد ينفجر.. أصرخ فتكمّم (عمتي) فمي، بيدها، وهي ترمقني شزراً.. السافلة.. العاهرة.. القدرة، ترمقني شزراً وكأنني أنا الذي أفقد ابنها القميء، بكارته.. آه كم تميت لو عضضت يدها في حينه.. أن أفتح عليها نيران شتائي، ولكنني جنت.. تبا لي.. لقد جنت وخنعت، فتنازلت عن جنيني.. افقدوني إياه.. قتلوه وأنا صاغرة!.. ليعيدوني إلى البيت جثة هامدة.

بعد أشهر، تزوجنا، وقد حاولت جاهدة أن أمثل دور العروس في ليلة (الدخلة) ولكنني لم أستطع.. فشلت، فقد أبى وجه الـ (كوادة) أن يفارق مخيلتي، وكذلك النظرات الحانقة التي رمقني بها (عمتي) العاهرة.. تذكرت طفلي القليل فأبت نفسي أن تسامح ابن (الديوث) الذي يمتطيني، رفضته من كل قلبي رغم أنه كان قد نجح باختراقي.. انتظرت حتى انتهى من غزوته المظفرة، وانزاح عني، لأدير له ظهري وأمثل دور النائمة فيما كانت الدموع تنهمر من عيني بصمت.

بعد ذلك تعودت أن أدير له ظهري حال مجيئه إلى السرير.. كان يغضب أحيانا فيثور ويعربد، ويلجأ أحيانا إلى اللين والغزل والتوسل، ولكنني لم أستجب له.. لم أرحم توسلاته، فكان يضطر لنيل وطره مني وأنا بذلك الوضع.. آه يا موت، أحيانا أشعر بأنني أضجرك بقص أحزائي عليك، ولكن هذا ما حدث لي ولا حيلة لي في الأمر، ولكنني في هذه اللحظات لا أريد أن أحزنك أكثر رغم رغبتني في الاستمرار بالتحدث إليك.

جَمَّارَه فَوَّاد

هَلُو عَوَاد



هَلُووووووووووووووووو جَمَّارَه

هَاي وِينَك



اَشُو مَاكُو



وَالَه مَشْغُول يَا جَمَّارَه

شَكُو



تَجَّارَه جَدِيدَه



لَا وَالَه مَشَاكِل

مَشَاكِلِيش لَا سَمَحَ اللَّهُ



هَيْج

عَاءَلِيَه

شَكُو



مُو كَلْتَلَج عَاءَلِيَه

اَي اَحْجِيلِي



بلکي اکدر اساعدک



لا شتساعديني

مشاڪل وية مرقي

شبيهه



اتسويلي مشاڪل هوايه

مشاڪليش



اخاف ما دداريك



يعني

هم هيچ

اها



افتهمت



اشتغلت الحرشه



حريشيش

تتحارش بيه



ههههههههههههه



ليش حرام الحرشه

ههههههههههههه



ديله شوكت نلتقي

ليش



فد يوم احجيلج

الحجي هوايه

هسه ما عندي واهس

بكيفك



اني رايحه



وين

عندي شغل



لعد ليش حجيتي

هيح



بس ردت اسلم



عليكم السلام

موتي يا موتي العزيز، أريد أن أحدثك اليوم عن (غزوة الشيراتون).. فأنا لم أكن ملاكاً قبل الزواج إن ظننت ذلك، أو لعلني كنت ملاكاً وإن فعلت تلك الأشياء، لا يهم، المهم هو أنني أريد أن أبوح بهذا لك، فأنت على كل حال لن تكشفه لأحد.

كان ذلك خلال دراستي الجامعية.. في السنة الثانية.. أو الثالثة.. لم أعد أتذكر.. في تلك الليلة كنت أستعد للإمتحانات مع سهى وهى في بيت أهلهن.. كان أهلي يسمحون لي بالمبيت هناك معهن.. سهى كانت معي في مرحلتي فيما تتأخر عنا هى بمرحلة.. والوقت يقترب من منتصف الليل قالت هى فجأة:

- لا انا ابدأ شرفي يشعل علي.

عرفنا أنها في سبيلها إلى بدء جولة من العث والمجون التي
تعودت عليهما أحيانا.. التفتنا إليها مبتسمتين.. قالت:

— ما رأيكن لو (استگحبنا) قليلا؟.

صفقت سهى مهلهلة وكأنها كانت تنتظر هذا بلهفة، فيما نظرت أنا بلا وعي إلى الهاتف القريب وقلت:

- هاته لأشعلهم شبقا.

فاذا بهن يغرقن في الضحك، وراحت سهى (تتمرغل) على السجادة.. قالت هي وهي تغالب قهقهاتها:

- أهذا أقصى ما عندك يا مسكينة.. يا لك من (گجہ) فاشلة!.

وحين عبرت لهما عن جهلي بما تقصدانه، سحبتاني من يدي إلى غرفة سهى، فاستجبت.. وسرعان ما ظهرت الملابس من الدولاب.. أمرتاني بأن ألبس ما تعطيني، وحين استفسرت، أمرني بأن أخرس وأنفذ فقط.. لبست قميصا و(تنورة) قصيرة جدا، ولكن تحتها (بنطلون).. قالت سهى:

- هيا.

غادرنا البيت من باب المطبخ متسللات لأن أهلها كانوا نائمين.. ففتحنا باب الحديقة ورحنا ندفع سيارتهم حتى ابتعدنا بها عن البيت لتجلس سهى في مكان السائق وتدير المحرك.. صعدنا، فانطلقت بنا في ليل بغداد البهي.. بقيت أسألها "إلى أين؟" ولكن لا مجيب.. فقط أمرتاني بعد أن اطمئنتا إلى خروجهن من المنطقة، بأن أخلع البنطلون كما فعلتا بمهارة.. شعرت عندها بخوف، لأننا مع (الماكياج) الذي وضعناه بدونا كعاهرات في تلك الساعة المتأخرة.. خفت قليلا، ولكنني امتثلت.

لم أعرف أين أنا حتى رأيت فندق الميريديان والشيراتون المتقابلين في قلب بغداد.. تساءلت مع نفسي إلى أين تأخذاني، ولكن الإجابة سرعان ما أتت حين دخلت سهى إلى مرآب الشيراتون بسرعة كأني سائق محترف.. نزلت معهما وأنا أكاد أتعثر، تصور يا موت، بنات عراقيات لوحدهن في تلك الساعة يحاولن أن يحترقن ذلك الصرح الهائل.. توقعت أن يرمينا الحرس بالنار حال رؤيتهم لنا، ولكنهما شجعتاني على الدخول بثقة، والغريب أنني لم أر مسلحا يوقفنا في الباب، وفي الداخل استقللنا المصعد، لأجد نفسي حين توقف، في (ديسكو) الفندق

الصاحب!.. إلتفتت إلينا الأعين وتلقانا النُذْلُ.. قادنا أحدهم إلى طاولة قريبة ووقف مبتسما..^٤

إلتفتت إليه فهي وقالت بجرأة:

- آتينا بثلاث زجاجات من البيرة.

تساءل الشاب:

- شهرزاد؟

فقالت سهى على الفور:

- بل شهریار.. آتينا ببيرة شهریار فهي أفضل.

ابتعد الشاب مبتسما فيما التفتت إلى سهى لتقول بطريقة

موحية جدا:

- أية شهرزاد.. أريد شهریارا.. آتوني بشهریار.

ضحكنا، فزاد عدد العيون التي تراقبنا.. ارتبكت ولكنهما لم تأبها، بل إزداد صخبهما حين جاء النادل بالزجاجات والأقداح، وراحت نكاهما تتوالى على الشكل المغربي للزجاجات الصغيرة وإمكانية استخدامها المتعددة! حتى أجبرتاني على مشاركتهما صخبهما وعبثهما.

كانت الجرعة الأولى من كأس البيرة كارثية، فقد شعرت وكأن مذاقها هو الأسوأ الذي مر ببراعم التذوق التي امتلكها، طوال حياتي.. لعنت كل الرجال الذين قالوا عن البيرة أمامي أنها لذيذة.. ما عدا أبي طبعاً، وكدت أفرغ المتبقي من الكأس على الأرض لولا أنهما منعاني.. بل شجعتاني على الاستمرار على أساس أنني سأعود على المذاق لأعبر بعدها إلى مرحلة الانتعاش الموعودة.. أكملت الزجاجاة الأولى بسرعة وكأني كنت أسابق

نفسى لكى أتخلص منها، ولكن النمل بدأ بالديب فى وجهى بعد منتصف الثانية، وراحت الأنوار الخافتة للقاعة تدور ببطء أمام ناظرى.. شجعتنى هذه النتائج على الاستمرار بتحمل الطعم الرديء لهذا المشروب السخيف.

كنت قد لاحظت اهتمام رجل يجلس فى الجهة المقابلة بى.. أو هكذا تهيأ لى، بعد بدء صراعى مع الزجاجة الأولى.. كنت أنظر باتجاهه لاشعوريا بين الحين والآخر فيبدو وكأنه لا يزال مهتما بى.. لم أستطع أن أتبين ملامحه فى شبه الظلمة تلك، ولكن ألا يكفينى أن أكون هدف نظرات رجل؟.. كان الرجال يتهافون على منضدتنا خلال ذلك الوقت وهم يطلبون منا الرقص.. رفضت سهى ونهى كل العراقيين والعرب، واستجابت لأول أجنبيين تقدما لهما.. كنت أصارع الزجاجة الثالثة وأنا أراقبهما ترقصان وتمرحان على خشبة الرقص فى منتصف القاعة الصاخبة، فخطر فى بالى أن أشجع معجبي الجهول.. لم يكن يهمنى من أين هو.. أو ليس رجلا؟.. ألا يمتلك المدق المرغوب؟.. أرسلت ابتسامة باتجاهه فلم يطل انتظاري، لأننى سرعان ما رأيته متجهًا نحوي.. دق قلبى بعنف، وتوترت أعصابى.. ترى كيف سيبدو حين يقترب؟.. بارك ربي لأمتك المسكينة برزقها، وأجعله فاتنا، هكذا ناجيته وأنا بحالة السكر التى أنا فيها.. بدا حين قام من مكانه فارع الطول وبصدر عريض، وهذه بشارات خير، ولكنى كنت مشغولة البال بوجهه، كما يجدر بأية فتاة غريرة!.. عندما إقترب وانحنى على ليطلبني للرقص، بلغة بدت لى هجينة جدا عرفت منها فوراً أنه أجنبى.. رأيت عينيه، فكدت أصرخ..

يا لله كم كنت أحب (فرانكو نيرو).. لقد أغرمت به منذ كنت في
الابتدائية، فكنت أذهب إلى دور السينما لمتابعة أفلام (الكابوي)
رغم أنني لم أكن أحبها، مجرد أن استسلم لسحر عيني فرانكو
الزرقاوين حين تركز عليهما (الكاميرا).. وهاهو الآن يطلبني
للرقص.. حرصت حين أصبحنا في الحلبة أن أقول لسهى التي
كانت ترقص مع رفيقها الأجنبي:

- انظري إلى عين هذا (المنيوك).. (اليوم الا..).

مع انطلاق قهقهتها، قابلته.. كانت الموسيقى صاخبة، وكل
المطلوب مني هو أن أواجهه وأهز جسدي كيفما اتفق.. هززت
وقمايلت ورقصت وأنا أكاد ألتهمه بعيني بعدما أطار السكر كل
خجلي، وكان هو يتطلع إلي مسرورا.. كنت غريقة ببحر عينيه،
وأزداد غرقا كلما اقترب بفمه من اذني ليقول شيئا.. عرفت منه
أنه ايطالي، ولم أعد أتذكر الآن اسمه.. كنت في قمة السعادة، فحتى
ان لم يكن فرانكو ففي الاقل هو ايطالي مثله.. حين بدأت أميز
الشهوة العارمة في نظراته وهو يعاملني رغم ذلك بأقصى درجات
الرفقة، شعرت وكأنني مفعمة بأنوثتي، فللمرة الأولى يتعامل معي
رجل كامرأة، لا مجرد فرج يريد أن يلجه كما كنت أشعر من قبل
كلما تعرضت للتحرش في الشارع.

حين تحولت الموسيقى إلى (سلو)، لم أتردد، بل سمحت له بأن
يمسك بيدي، ويطوق بيده الأخرى خصري.. احتضنني كسيد
محترم والفرح يتقافز من عينيه.. كانت البداية هذه المرة صعبة
لأنني لم أكن ضليعة بهذا النوع من الرقص، ولذلك رحت أتبعه في
خطواته التي بدت لي رشيقة، وحين شعرت بالثقة بعد حين،

ارتبكت خطواته.. حيرني أمره، ولكنني سرعان ما فهمت، فقد سحبنى إليه وشعرت بصلابته على بطني.. إذاً فقد تملكك شيطان الشبق يا مسكين.. "أنا لا أعرف ما الذي يدور في ذهنك عني، ولكن آه لو تدري كم أنا مسكينة أيضا رغم الإثارة الهائلة التي بدأت أشعر بها".. كان يضمني إليه بقوة، فيما راحت شفثاه تجوسان بشرة رقبتي، ويده الممسكة بخصري تنزل ببطء حتى أمسكتا إليتي.. بدأ يهمس في أذني كلمات مضطربة لم أفهم منها غير كلمة (روم).. كان يتوسلني أن أذهب معه إلى غرفته، فلم أتردد في قول كلمة (نو) واضحة بالانكليزية.. توسل أكثر، فقلت له بالعربية.. "ألم تفهم بعد يا غبي؟.. انت تكلم فتاة عربية.. شرقية، وطبعاً لن أذهب معك إلى غرفتك بموافقتي.. بجمالك الوحشي أنت تهدد أعز ما أملك.. أحقر ما فرض علي.. أنت تهدد صمام الأمان في حياتي القادمة يا ابن العاهرة.. افهم".. حين توسل إلي أن أكلمه بالانكليزية، لم آبه.. بل واصلت باصرار قائلة.. "هيا احملني على كتفك القويين هذين.. خذني فوراً إلى غرفتك واغتصبي، فأنت لن تنال مني شيئاً إلا بالاغتصاب، فهيا اغتصبي بكل ما تملك من رجولة.. اغتصبي أرجوك".. كان هو خلال ترديده لكلمة (روم) بين الحين والآخر برتابة، ينقل يده المسافرة عبر تلال مؤخري، إلى الأمام.. واصلت "أنت حمار.. لم تعرف بعد أن حلم كل فتاة شرقية ابتليت ببيكارها هو أن تغتصب.. هيا احملني ولنذهب".. كان قد رفع تنورتي ببطء وهو يحاول أن يستر عريي الجزئي بجسده.. لم أعترض، بل شجعتة بابتساماتي المناقضة لفحوى كلامي.. أمسك بـ (كتكوتي) فأقشعرت (ريشاته)..

أصابني دوار وكدت اسقط لولا أنه أسندني بيده القوية.. راح
يبلل اصبعاً له بعصارتي التي تجاوزت سروالي الداخلي ويضعه في
فمه ليمتصه بطريقة مثيرة جعلتني أعرض صدره.. ابعدني عنه وهو
يضحك.. كدت أن أقول له "هيا إلى الغرفة" بأبلغ لغة انكليزية
أتقنها، لولا أنني تداركت أمري في آخر لحظة.. شعرت عندها
بالخطر الذي كان يتهددني فرحت أحاول مقاومة سكري لأستعيد
توازي، ولكنه لم يمهلي، بل طور هجومه إلى حد أن أصابع يده
بدأت تحاول اجتياز حاجز سروالي الداخلي.. فقدت عندها القدرة
على التفكير، وادركت بشبه يقين أنني فاقدة بكارتي هناك.. بين
الناس.. وفي تلك الزحمة.. كدت أسترحمه، لولا أن أصابع سهى
طرقت كتفي وهي تقول لي إن أوان الانسحاب قد آن.. قلت له
أنني مضطرة للذهاب، ولكنه ضمّني إلى صدره بقوة أشد.. دفعته
عني، وتخلصت من أسره، ثم انطلقت مع الأختين لا ألوي على
شيء!

كان ملل الانتظار ينتابها وهي تنتظر حيّاناً الذي تأخر
حسبما شعرت، حينما دخل عليها رجل بدا عليه الحزن، وعمّت
ملاحظه الاضطراب الذي كان يشعر به كما يبدو.. بدا لها وكأنه
في العقد الرابع من عمره، يميل إلى البدانة مع طول معتدل.. وهي
تنظر إليه متقدماً نحوها، دخلت فتاة من بعده.. هالها وجهها المحايد
الكليم، شعرت بها وكأنها قد بلغت مرحلة من اليأس حتى افتقد
وجهها إلى التعابير التي تفصح عن حقيقة مشاعرها، فاثالت
الشفقة من حناياها.. قدم لها الرجل الوصفة الطبية التي كان يحملها
فقالت:

- عفوا أخي، لأرى حاجة الأنسة أولاً.

نظر هو إلى الخلف ثم التفت إليها ويقول:

- هي معي.

فشعرت بحجل خفيف وقالت:

- آسفة.

لم يزد على أن هز برأسه علامة تفهمه.. عرفت منذ النظرة
الاولى أنها أدوية لمعالجة حالات نفسية، وانبأها يقينها أنها كانت
لتلك الفتاة المسكينة.. حضرت الأدوية بسرعة، وقدمتها إلى الرجل
بعدها أخبرته بالثمن المطلوب.. أنقدها المبلغ ثم التفت ليخرج
مصطحباً معه الفتاة التي بقيت تنتظره بالقرب من الباب.. تابعتهما
بنظرهما وهما يخرجان.. في اللحظة الأخيرة، استدارت الفتاة لتنظر

إليها، فابتسمت لها مشجعة لأنها شعرت وكأنها تستنجد بها، ولكن قلبها ألمها، فكادت تصرخ بالرجل أن يتوقف لتستجلي بنفسها ما تعاني منه تلك المخلوقة المحطمة كما شعرت، ولكنها لم تجرؤ، بل توقفت في مكانها لتراقبهما وهما يختفيان عن ناظرهما.

شعرت بحزن كبير ينتابها، وتهيأت دموعها للفرار من عينيها المغرورتين لولا أن حياناً قد ظهر فجأة، فكبتها فوراً ورنّت إليه.. قال لها حين اقترب:

- الحزن واضح عليك.

حاولت أن تبسم قبل أن تجيب ولكنها لم تتمكن إلا من زمّ شفيتها.. قالت:

- لا أعرف.. كانت عندي فتاة قبل قليل.. أتت مع رجل يبدو أنه أباه.. كانت تبدو حزينة بقدر ما هي مريضة.. أشعرتني بحزن كبير حتى كدت أبكي.

قال حيان:

- كم أنت طيبة؟!

- ومن أين عرفت؟!

فضحك وقال:

- أعرفك.

فابتسمت له ولكنها قالت مصرة على ما يشغل بالها:

- المسكينة، تبدو وكأنها تعاني من مشاكل عصبية على الحل.

- ما مشاكلها يا ترى؟

- لا اعرف! ولكنها تعاني.. هذا واضح.

تمعن هو في وجهها قبل أن يتساءل:

- قولي لي يا هديل، هل يتولد عندك فضول دائما تجاه خصوصيات الناس.
- فقالت بجرارة وكأها تدفع عن نفسها إتهاما خطيرا:
- هو ليس فضولا.. هو تعاطف بحت.
- ابتسم لها وقال:
- أصدقك.
- لم يبد عليها أنها قد انتبهت لما قاله، بل قالت فجأة:
- أتعرف شيئا.. لطالما سألت نفسي السؤال الذي سألته أنت للتو!.
- ثم سكنت قليلا لتفكر قبل أن تكمل:
- لكنني هذه المرة متأكدة.. لقد اشفقت عليها مما بدا عليها من هم ثقيل.. ولكن.. أهى مصادفة أن تسألني في كل مرة عما يدور في خاطري بالضبط؟!
- ابتسم لها مرة أخرى وقال:
- هذا لأنني بت أعرفك.
- لا.. الأمر أكبر.. هل لديك المقدرة على قراءة أفكارى؟.
- فقال ضاحكا:
- لم لا.. فقدراتي غير محدودة.
- ولكن هذا مستحيل!
- لم مستحيل؟!
- لأنك كلما حدثني، تعبر عن فهم كبير لي.
- هذا لأنك شفاف.

شعرت بفرح غامر حين سمعت ذلك، الأمر الذي ساعدها على تجاوز حالتها النفسية السيئة.. ابتسمت وقالت:

- أو لعلك عبقرى.

فابتسم هو الآخر وقال:

- لا بأس.. سأقبل هذا.

فضحكت هذه المرة، قبل أن تفكر قليلا وتقول:

- آسفة لأنني كنت كثيفة مؤخرًا.

- أنا موجود من أجلك هديل.

ولكن بدا عليها وكأنها لم تسمع ذلك وهي تقول:

- رؤية هذه الفتاة كأبنتي.. المسكينة!

- هل رأيت فيها شيئا منك؟

فوجئت تماما بقوله.. ملأها الشكوك، ولكنها تساءلت:

- ماذا تقصد؟!

فابتسم لها وقال:

- لا أقصد شيئا طبعاً، ولكن اهتمامك بها يفصح عن شيء

متميز فيها بالنسبة إليك.

نسيت شكوكها فوراً وقالت وهي ساهمة:

- لطالما تمنيت أن تكون لي ابنة، وحين رأيته على حالها هذا

تساءلت مع نفسي إن رأيت ابنتي بهذا الحال فماذا أفعل..

سأموت حتماً.

فقال بصوت بدا فيه العطف واضحاً:

- الكل يموتون، فلا تخافي.

نظرت إليه بتمعن وتساءلت:

- وما الذي ستفعله إن متُّ؟
- فابتسم لها وقال:
- سأنتحر طبعاً.
- عرفت أنه يمازحها، فاعتصبت ابتساماً لتقدمها له وهي تقول:
- أنت كذاب.
- ولم كذاب؟
- فردت ضاحكة:
- لأنك مجرد انسان تافه، لا يمكنك أن تحب بهذه الطريقة.
- فاعتدل بوقفته، ورثب قميصه بطريقة مسرحية وقال:
- وهل أبدؤ لك تافها؟
- فطفح عندها جبهها، برقت عيناها وقالت بحرارة:
- بل أنت أروع الناس يا حبيبي.
- فضحك وقال متجاهلاً قولها:
- أنا ذاهب.
- تابعته بعينيها وهو يغادر.. قبل أن يصل إلى الباب، دخل زبون،
- فعجبت حين تجاوز كل منهما الآخر من دون أن ينظر إليه!.

تعود (بعلي) العتيد على الطريقة التي فرضتها عليه.. عندما يأتي إلى الفراش، أدير له ظهري وأرفض دعواته لمواجهته فيضطر إلى الرضا بما تيسر له فلا يعود الأمر بالنسبة لي غير حوار أسمع، سرعان ما ينتهي بتنهدات وصرخات مخنوقة قبل أن تعم فترة صمت يقطعها شخير.. وأي شخير، فأبقى مسهدة أبلل وسادتي بدموعي، حتى يهديني التعب فأنام.

أتعرف شيئاً يا موت؟ كنت أتصور أن الرجل والمرأة يجب أن يكونا في الوضع الطبيعي لكي يثمر إتصالهما عن طفل.. كنت أعرف أن الأمر يحتاج إلى رجل وامرأة لفعل ذلك لأنني لم أبلغ من السذاجة حداً يجعلني أصدق بقية (السيناريوهات) التي يقصها بعض الأهالي على بناتهم عندما يسألن عن الأمر، ولكنني تصورت أنهما يجب أن يكونا في الوضع (الرسمي) على السرير لكي يتم ذلك.. المرأة تحت والرجل فوق.. هذا هو الذي يجب أن يكون، ولذلك شعرت باستغراب شديد حين عرفت بحملي اثر ذلك الوضع الشاذ الذي سلبني خلاله بكارتي، ولا أخفيك يا صديقي، فرغم غضبي الشديد عليهم بسبب ما فعلوه بي، فأني في أعماقي شعرت براحة لأنني تصورت أن طفلي لن يكون طبيعياً إذا ما ولد بسبب طريقة زراعته الغريبة!.. ولكن عندما أثرت تلك الاتصالات المشوهة التي فرضها علي (نكبتني) بعد الزواج، عن حمل آخر، أدركت أنني كنت على خطأ.. نعم يا موت، أثرت

تلك الغزوات البربرية التي كنت أتعرض لها كل ليلة طوال أشهر بعد الزواج عن ثمرة، فأبدلت مزاجي.. شعرت بسعادة كبيرة وأنا أشعر بأن الحياة تدب في أحشائي فهدأت وسكنت أعصابي التي كانت ثائرة دائما، حتى أنني بدأت أحاول، أحيانا طبعاً، أن أرأب الصدع بيني وبين زوجي.. بل بدأت استجيب له عندما يريد أن يكون الاتصال طبيعياً.. أيضاً أحيانا، فبدأ التجهم يزايله ورق تعامله معي.. لم يكن الأمر سهلاً بالمرّة، ولكنه تحقق بالتدريج، وساعدت ولادة ابنتنا (هاني) على تخسين الأجواء أكثر، وأكثر، حتى تصورت أننا سنعيش أخيراً حياة طبيعية، ولو على مضض من قلبي.. ولكن يبدو أنه كان للأقدار إعتراضها على ذلك!.

بعد الولادة، عشنا شهوراً من حياة زوجية شبه طبيعية، فقد بدا ، والحق يقال، أنه أحب ولده وسعد به، رغم أن هذا لا يعني أكثر من أنه كان يهرع إليه حال رجوعه إلى البيت ليلعب معه لمدة عشر دقائق، أو أكثر بقليل، قبل أن يملّ ويعيده لي! ولكنني تقبلت منه هذا، فلم أحاسبه يوماً على امتناعه عن تقديم أية مساعدة لي بالاعتناء بولده.. بل أنه لم يكلف نفسه يوماً عناء الاستيقاظ على صرخات ولده الليلية لأنه كان يعرف أنني لن أستطيع النوم وولدي يحتاجني رغم ساعات العمل الطويلة في المستشفى والبيت.. والصيدلية فيما بعد، وما كان يسببه لي من شعور هائل بتعب مستمر وحاجة إلى النوم لا تنتهي، فيما كان هو لا يعرف للتعب معنى، إلا إن كان دوام الراحة، تعباً، فقد كان دائماً عاطلاً عن العمل.. كان هذا يزعجني.. ويؤلمني، ولكنني كنت قد مللت حياة الصراعات والخصام، وأردت أن أقضي المتبقي من حياتي بسلام بعدما أصبح عندي ولد.

عضّ الجوع العراقيين، وقلب الحصار حياتهم رأساً على عقب، ولكن حياتنا لم تتأثر كثيراً، بل لعل عائلتي الجديدة كانت واحدة من العوائل القليلة التي استفادت من الحصار بدلاً من أن تتضرر، فقد كان أبو زوجي واحداً من المقاومين الذين اعتمدت عليهم الحكومة في توفير ما تحتاجه من المواد فلم تبخل عليهم، وهكذا ازدادت ثروته حتى حدث الانهيار الاقتصادي الذي عصفت بالبلاد خلال عام 1996.. كنا قد سمعنا قصصاً عجيبة وغريبة عما حدث في تلك السنوات، وخاصة ما يتعلق منها بـ (سامكو) و(علاءكو) و(لا أدري منكوك)، ولكنني لم أعجب لشيء كما عجبت لحال بعض من تضرروا نتيجة ذلك الانهيار، ومنهم أبو زوجي.. بالحقيقة كان رجلاً طيباً رحمه الله، عاملني بلطف وأحبته كثيراً رغم سلبتيه التي نصّبت زوجته الكريهة، غولاً في البيت، ولكنني استغربت كثيراً لما أصابه في تلك الأيام، فقد كان يمتلك الكثير من الأموال خاصة بعد استفادته من ظروف الحصار، وحسبما سمعت قد تكون ثروته بمئات الملايين، ولكنه عندما خسر عشرة أو خمسة عشر مليوناً بسبب الانهيار، أصيب بجلطة بقلبه وكاد يموت، بل لعله مات بسبب ذلك بعد مدة قضاها مريضاً! أنا لا أعرف كيف يفكر هؤلاء، ولكن حدساً انتابني حينها، جعلني أحاول استثمار المبلغ المحدود الذي كنت أملكه في تلك الظروف التي أصبحت فيها الأشياء برخص التراب، لأحقق حلمي بامتلاك صيدلية خاصة، وهو ما تحقق بالمشاركة مع إحدى المعارف بعد أن جعلت أخي يشتري لي أقصى ما يستطيعه من الدولارات المتهاوية بسرعة، فكان ربحي مرضياً جداً حين بعثها بعد أن استرد ثمنها، عافيتها.

كما توقعت بالضبط، لم يكلف عواد نفسه بمساعدتي وأنا أحقق حلمي، وعذره أنه قد أصبح مسؤولا عن ثروة العائلة بعد مرض والده وتقاعده الاجباري.. ولكنه فاجأني باهتمامه الكبير بعد أن بدأت الصيدلية تدر واردا محسوسا، وراح يتواجد يوميا فيها، ولكنني أوقفته عند حده حين بدأ يتدخل بالتفاصيل ويطالبني بأن أريه الحسابات.. لقد كشف لي أيامها عن وجه قبيح آخر يا موت، فقد كان يريد أن يكون شريكي مرة أخرى.. شريكي في الصيدلية رغم أنه لم يساهم بفلس واحد معي، كما هو شريكي في الفراش وشريكي في ولدي وشريكي في الحياة، لجرد أنه دفع مهرا لم يحرص أهلي على أن يكون كبيرا لأنهم كانوا يريدون أن يشتروا لي رجلا، فاشتروا (شريج شطي)!

عندما رفضت تدخلاته، ارتدع فورا وابتعد بعدما فهم أنني جادة في موقفي، ولكنني حاولت جاهدة أن لا أدع ذلك يؤثر على علاقتنا المتنامية في البيت.. من أجل ولدي طبعاً، ولكن يبدو أنه لم يسامحني، إذ لم تمض إلا بضعة أسابيع حتى أعلن عن نيته في السفر وحيدا إلى (عمّان) ليدبر ثروة العائلة من هناك!.. أنا أعرف يا صديقي الآن أن مبعث جزء من قراره كان ليؤذيني، فقد كان ليئima بطبعه، وكنت أعرفه جيدا حتى في تلك الأيام، ولكن قراره كان قاسيا عليّ، بل مؤلما رغم أن بعده عني كان ليفرحني لو لم تكن مسؤولياتي أكبر من أن أستطيع أن أتدبر أمرها لوحدي.. كنت بحاجة إليه بشكل أو بآخر، ولكنه أدار ظهره لي وسافر.. بعد أن أوصى بي صديقه سرمد إن احتجت لشيء، رغم أنه كان واثقا من عدم حاجتي لشيء، لأن بيتنا كان ملاصقا لبيت

أهله الذين لن يتركوني محتاجة حسب زعمه!.. هكذا بكل بساطة
يا موت، تركني أمام متاعبي.. دوام رسمي وطفل لم يبلغ من
العمر السنة، وبيت مستقل، وصيدلية تحتاج إلى الكثير من الجهد،
وهرب.. أنا أعرف جيدا أنه لم يكن يوما مستعدا لتحمل
مسؤولياته، ولكن ما فعله في تلك الأيام كان يفوق الوصف، ولم
أتوقعه حتى منه!..

ركّزت عينيها عليها وهي تقترب منها.. كانت منكبة على أوراقها التي تكدست على المكتب بطريقة توحى أنها لن ترفع رأسها حتى يلعلع الرصاص من حولها، أو يحصل انفجار متوقع في أية لحظة في بغداد.. وقفت أمامها، وبالفعل لم ترفع رأسها.. قالت بصوت واضح ومسموع:

- مرحبا سهاد.

رفعت سهاد رأسها متفاجئة، ولكنها بعدما أمنت النظر في وجهها، لم يبد عليها أنها قد عرفت، فقالت بطريقة الموظفين الرسمية، التي تقترب من الصلافة:

- أهلا.. تفضلي.

تمتعت في وجه سهاد الذي لم يبد عليه أنه قد تغير كثيرا لولا تلك التجاعيد التي تراكت تحت عينيها، فعرفت أنها لم تنس هذا الوجه الذي كرهته ذات مرة.. قالت:

- يبدو أنك لم تعرفيني.

لم ترد سهاد فوراً، بل تطلعت إليها بامعان، قبل أن تقول بعد قليل بصوت اختلطت فيه المفاجأة بالاستفهام:

- سلمى!؟

هزت هي رأسها إيجاباً، فيما بدت الفرحة واضحة على وجه سهاد لوهلة قبل أن يردعها الجمود الذي سيطر على وجهها فجأة.. نهضت ومدت يدها إليها، فصافحتها.. قالت سهاد:

- ترى ما سبب هذا التشريف.. ما الذي أستطيع أن أقدمه لك.. أو مري.
- شعرت سلمى بامتنان في أعماقها، ولكنها لم تشأ أن تفصح عنه.. قالت بهدوء:
- أتيتك لأمر مهم، فهل تستطيعين أن تفرغي نفسك لي لبعض الوقت؟.
- قالت سهاد باسمة وهي تشير إلى كرسي فارغ بجانبها:
- (غالي والطلب رخيص).. تفضلي.
- قالت هي بسرعة:
- لا، ليس هنا.. نحتاج الى بعض الهدوء من حولنا.
- بان الاستغراب على وجه سهاد وهي تتطلع إلى وجهها وكأنها تحاول أن تستكشف نواياها.. قالت بعد قليل من التفكير:
- حسنا.. اسمحي لي قليلا.
- ثم غادرت مكتبها متجهة إلى غرفة داخلية غابت خلف بابها لدقائق، قبل أن تعود مسرعة لتحمل حقيبتها التي أخرجتها من أحد أدراج مكتبها وقالت:
- هيا بنا.
- حال خروجهما من الدائرة، إلتفتت سهاد إليها مبتسمة رغم أن ملامحها عجزت عن إخفاء إمارات التساؤل والقلق والحيرة..
- قالت:
- والآن، أتحيريني لم شرفتي بهذه الزيارة التي لم أكن أتوقعها منك أبدا.
- قالت بهدوء وهي تبذل جهدا لكي يبدو وجهها محايدا:

- ماذا يا سهاد؟.. أببدو لك وكأنني أحمل كاتما قد أغتالك به؟

ضحكت سهاد وقالت:

- ولم تغتاليني.. رأيت للتو أنني مجرد موظفة، وأؤكد لك بأن لا مخططات عندي للمنافسة على كرسي أو منصب.. ولكن..

ولكنها قاطعتها قائلة:

- انتظري حتى نجلس في مكان ما وسأقول لك كل ما أتيت لقوله، فلذلك أتيت.

وصلتا إلى (الكافيه) القريب الذي اقترحته سهاد، فانتبذتا مكانا بعيدا عن الزبائن الآخرين.. قالت سهاد:

- والآن؟

فنظرت إليها بتمعن وقالت:

- أشك بأنك لم تخمني حتى الآن لِمَ أتيتك.

فبدت الدهشة صادقة على محيا سهاد وقالت:

- أقسم لك بأنني لم أحمن أي شيء.. ما زلت مندهشة من زيارتك غير المتوقعة هذه!

لم تشأ هي أن تناقش فقالت على الفور:

- هيفاء.

غزا الإحمرار وجه سهاد الذي بدت عليه المفاجأة كاملة..

وقالت بعد تردد قصير:

- ما بها هيفاء؟

ثم سكتت لتضيف فورا:

- وما شأني بها؟
- قالت لها بكل ما تمتلكه من اصرار:
- أنت تعرفين جيدا ما أتكلم عنه.
- لا أعرف.
- بل تعرفين.
- أرجوك سلمى.
- بل أرجوك أنت.
- صمتت سهاد فجأة ولم تتكلم لثوان طالت قليلا، قبل أن تقطعها بالقول وقد بدا عليها أنها قد استسلمت:
- إذاً هي وشت بنا عندك.
- تفاجأت من قدرة سهاد الكبيرة على المصارحة وهي التي خططت لأن توصل رسالتها واضحة رغم يقينها من أن سهاد لن تعترف حتى النهاية.. قالت:
- لا وشاية في الأمر.. أنت تدمرينها.
- عادت الدهشة لتطل من ملامح سهاد.. قالت متسائلة باستغراب:
- أنا أدمرها؟!!
- طبعاً.
- كيف؟!!
- هي زوجة يا سهاد.. وأم لشباب وشابات!
- ارتسمت ابتسامة سخرية على شفهي سهاد، وقالت:
- وأين كان زوجها يوم التجأت إلي؟!!
- شعرت بغضب يتصاعد في داخلها، قالت وهي تكاد تصر على أسنانها:

- التجأت إليك؟.. أتتك لتسري عن نفسها، لا لـ.....
- بل أنت شاكية من شيء وأعطيتها أحسن ما عندي.
- فقلت والاستهزاء يعلن عن نفسه في كل حرف تنطقه:
- يا لطيتك وحسن أخلاقك!
- أدركت أنها سمحت لنفسها أخيرا أن تعبر عن كرهها، ولكن
- سهاد لم تجب فوراً، بل تمعنت في وجهها قليلاً قبل أن تقول:
- أتعرفين شيئاً يا سلمى؟
- ماذا؟
- لو أصبحت مثلي لما كنت إلا إيجابية.
- لم أفهم!
- ابتسمت لها سهاد وهي تقول:
- لم يخطر لي ببال أنني سأخاطبك يوماً بمثل هذا، ولكنك
- وضعتني أمام الأمر الواقع.
- قالت بصبر:
- لم يساعدني هذا في فهم شيء!
- صبرك عليّ.. في التهيئة للعلاقات بين النساء، وعذراً لقول
- هذا بكل وضوح، هناك طرفان.. طرف إيجابي وطرف
- سلبي.
- لم أفهم بعد!
- قصدت طرف إيجابي يغوي كالرجل وطرف سلبي
- يستجيب كالمرأة.
- اجتاحها الاستغراب لسماح ذلك، وقالت وهي بالكاد تسيطر
- على غضبها:

- وهل أبدو لك كرجل.
 ركزت سهاد نظراتها على وجهها قليلا قبل أن تقول بهدوء:
 - أنا أعرف يا سلمى أنك لا تطيقيني.. لطالما شعرت
 بذلك، ولكنني لم أقصد سوءا بقولي، بل الحقيقة هي أنني
 قصدت المدح فقط.
 كانت ذكرى سيئة جدا تعذبها في تلك اللحظات، إذ تذكرت
 فجأة حين لامستها سهاد في حمامات الكلية وهي تحاول إغواءها..
 كانت علاقتهما طيبة حتى تلك اللحظة ولكنها شعرت بغضب شديد
 بالرغم من الخوف الذي شعرت به في البداية.. كادت تضربها لولا
 خوفها من فضيحة أن تكون طرفا في معركة أثوية داخل
 (التواليت)!! بذلت جهدا لإبعاد تلك الصور من ذاكرتها الفعالة
 لحظتها لأنها تعلم أنها لا تستطيع أن تفعل شيئا يهدئ من غضبها
 الآن أيضا، بسبب عمومية المكان.. قالت بأقصى ما تستطيعه من
 هدوء:

- لم أفهم كيف يمكن أن يكون ما قلته مدحا!
 ردت سهاد:

- أنا قصدت الرجل بسيطرته وقدراته العقلية، لا شكله.
 فهمت ما كانت تقصده سهاد، ولكنها لم تزد على أن تمطّ
 شفيتها، فقالت هذه:

- لا بأس.. دعينا في المهم.
 فقالت هي على الفور:

- نعم المهم.. دعينا في المهم.
 بعد صمت قصير، قالت سهاد وهي تحاول أن تبدو جدية تماما:

- جاءت هيفاء إلي وأعطيتهما أحسن ما عندي، ولا أعرف ما تطالبيني به!
- فضحكت وهي تقول:
- وأنا أشهد لك بأنك أعطيتها أحسن ما عندك، ولكن.. قاطعتها سهاد قائلة وهي تحاول اخفاء ابتسامة تراقصت على أطراف شفيتها:
- بلا ولكن أرجوك.. هيفاء امرأة راشدة، ولم أخدعها أو أغوها.
- ف قالت هي بأقصى ما تستطيعه من تضمين للسخرية، في نبرات صوتها:
- وأشهد لك بهذا أيضا.
- قبل أن تضيف جادة بعد تفكير قصير:
- ولكنك أستغللت ضعفها.
- نظرت سهاد إليها مليا قبل أن تقول:
- أتعرفين.. لن نتفق مهما تناقشنا.
- ولم لا نتفق؟!
- قالت سهاد وقد بدا عليها الحزن:
- لأننا نختلف عن بعضنا.. هذا كل ما في الأمر.
- فتساءلت هي على الفور:
- كيف نختلف؟.. أمتلكين ما لا أملكه؟
- ضحكت سهاد وقالت:
- أمتلكين روح النكتة!
- طبعاً.

- ومع ذلك لن تفهمي.
- اجعليني أفهم إذاً.
- لم ترد سهاد هذه المرة، فقالت هي بعد تردد قصير:
- صدقاً سهاد.. ما الذي يدفعك إلى هذا؟.
- فابتسمت سهاد وقالت:
- وكأنك تريد أن أختصر لك حياة كاملة ببضع كلمات!.. ألم أقل أنك لن تفهمي؟
- فقالت بصوت بدا فيه التحدي واضحاً:
- جريبي.
- بلا تجربة، ما تطلبينه مستحيل، وأنا لا أستطيع أن أشرح.
- فقط أخبريني.. ما الذي تريدينه؟.. لِمَ لَمْ تصبحي مثلنا؟!
- لأنني لست مثلكم.. أحتاج الأمر إلى ذكاء كبير لتدركي ذلك؟!
- عندها فقط شعرت وكأن الثقة التي لازمتها منذ بدء اللقاء قد زایلتها.. شعرت في أعماقها بأن سهاد لربما تكون على حق فيما قالت له للتو، ومع ذلك، قالت باصرار:
- ما الذي تريدينه من كل هذا؟
- قالت سهاد التي بدا عليها فجأة وكأنها شاردة الذهن:
- لا أعرف.
- بدا الوجوم واضحاً على وجه سهاد وهي تفكر، فاحترمت سلمى ذلك ولم تنطق بكلمة حتى قالت سهاد:
- اتظنين أنني لا أعرف ما أنا فيه؟!
- لم تجبها بكلمة فقالت سهاد مكملة:

- أتظنين أنني لم أتمنَّ أن أكون طبيعية كبقية النساء؟!.. لا سلمى، لقد تمنيت ذلك لأن العيش كالبقية أسهل من مخالفتهم.. تمنيت أحياناً.. بل حاولت، فقد سمحت ذات مرة لرجل أن يقترب مني.. كنت أريد أن أتغير، وقد عاملني برقة حتى تصورت أنه سيحقق لي ما أريد، ولكنه سقط في أول امتحان.

تساءلت سلمى بلهفة:

- امتحان؟!!

فابتسمت سهاد وهي تقول:

- في أول مرة احتلينا فيها، كشف عن وجهه الحقيقي. هزّت برأسها وكأنها تحاول إبعاد فكرة عنه.. اتسعت ابتسامتها وأكملت:

- أراي عضوه المنتصب.. السخيف!، يريد أن يغويني.. لم يفهم أنني كنت أريد علاقة وجدانية أولاً تنقذني مما أنا فيه.

- فما الذي فعلته؟

- لم أفعل شيئاً، فقط تركته فوراً ولم أره مرة ثانية.

فقالت سلمى بعفوية:

- المسكين!.. لم يعرف أنه كان مقبلاً على علاقة لواط.

ندمت على قولها فوراً، ولكن ضحكة سهاد جلجلت في المكان، فلفتت إليهما الأنظار.. أرغمت نفسها على السكوت بسد فمها بيدها وقالت وهي تغالب رغبتها بالضحك:

- ما زالت روحك كما هي.. يا لله يا سلمى لكم كنت أحبكم!

فقلت بلا تفكير:

- نعم أعرف كم كنت تحبيني.

علا الاحمرار وجه سهاد حين سمعت ذلك، ولكنها لم ترد..
ابعدت ناظرها عن وجه سلمى وقد بدا عليها التفكير قبل أن تقول:
- لواط!

كادت أن تعود إلى ضحكها المجلجل لولا أنها سيطرت على نفسها لتتابع القول:

- تعرفين جيداً أنني لا يمكن أن أكون رجلاً لافتقاري إلى
(مؤهلهم) ذاك، ولكنني رفضت الزواج لأنه علاقة غير
منصفة في مجتمعنا.

- أهأ، إذأ ما تفعلينه ترمد.. ثورة!.. أهكذا تريد أن
تفسري الأمر؟!

- لا وألف لا.. أنا لست ملزمة بتفسير شيء لك.. ولا
أستطيع.. ولكن شئت أم أبيت فقد كان لهذا أثر في
تشكيل شخصيتي.

سكتت لتفكر قليلاً قبل أن تكمل:

- آه يا سلمى، قلت أكثر من مرة، لا أستطيع شرح الأمر..
مستحيل، فلا تشككي بنياتي عندما أتحدث.. لا تنصبي
نفسك حكماً عليّ.

قاطعتها قائلة بصدق:

- ولكن لم هذا الدرب يا سهاد؟

- بدا على سهاد وكأنها قد أحبطت.. فقالت بصوت مهادن:
- لقد رفضت الرجال، ولكنني لن أتجاوز حاجتي إلى الجنس بسهولة، فكان خيارى هذا.
 - ثم سكنت قبل أن تضيف بعد قليل:
 - ولم أتجاوز تلك الحاجة وهي حق لي؟
 - فقالت هي معترضة:
 - نعم هي حق، ولكن ليس بالطريقة التي اخترتها!
 - نظرت إليها سهاد وقالت بهدوء:
 - الفكرة ليست في الطريقة يا سلمى، بل في المتعة واللذة المتحققة.
 - شعرت سلمى فجأة وكأنها عاجزة عن الاستمرار في ذلك الحديث الذي لم يزد لها إلا قرفا منه.. قالت:
 - ولكن هذا أبعدنا عن موضوع هيفاء الذي جئتك من أجله!
 - وما بها هيفاء.. لا أحد يجبرها على شيء.
 - هل ستركينها لحالها؟
 - فضحكت سهاد وهي تقول:
 - يا سلمى، الأمر ليس إغتصابا كما يفعل الرجال حين يجبرون المرأة.. ألا ترين أنني لا أستطيع أن أذهب إليها لأغتصبها.. أنا أحتاج إلى رضاها الكامل.
 - ثم سكنت لتضيف بعد قليل:
 - ثم أنا لم أذهب إليها، بل كانت هي من تأتيني.
 - لاحظت هي أن ما تقوله سهاد هو الحق هذه المرة، فقالت:

- عديني بأنك لن تضغطي عليها وأتركي الباقي عليّ.
ابتسمت سهاد وقالت:
- تقصدين أن لا أغويها؟.. نعم، من أجلك سأفعل.
فقالت سلمى وهي تحمل حقيبتها متهئية لتغادر:
- شكرا جزيلا.

(سَلِّم البزّون شحمة!) لطالما رددت مع نفسي هذا وأنا أفكر بسرمد بعد ما حدث معه، سواء كان ذلك خلال الوقت الذي سعدت به معه، أو بعدما اكتشفت مدى الحيف الذي ألحقته بنفسي بسبب رضاي به!.. بدا (البزّون) وكأنه رحمة لي، خاصة في الأشهر الأولى بعد سفر عواد.. كان دائم الزيارة إلى الصيدلية ليسألني عن حاجاتي التي لم يتردد في تليبيتها فوراً.. كان خير معين لي وخاصة عندما دبّ الخلاف مع شريكتي بالصيدلية، إذ وقف معي ولم يهدأ له بال حتى أقنعها في النهاية بأن تبيع حصتها لي.. وبالفعل فقد بعث كل ما عندي من ذهب، ولجأت إلى أهلي حتى أوفر المبلغ المطلوب وتصبح الصيدلية لي وحدي وهو ما كنت أتمناه.

لم أشك يوماً بنواياه وهو يقدم لي كل تلك الخدمات، لأنني تصورت طوال الوقت أنه إنما كان ينفذ وصية صديقه، ولكن هل شعرت بميله الجنسي لي؟! لم أعد أتذكر، ولكن باستطاعتي أن أزعم بأنني قد شعرت!.. طبعاً لم يخطر لي ببال أن تصل الأمور بيننا إلى ما وصلت إليه، ولكنني لا أستطيع الآن أن أنكر أنني قد قرأت رغبته بي في عينيه قبل أن يحدث شيئاً، ولم أرعوي!.. لماذا؟.. آسفة لأنني لا أستطيع أن أسوغ لك شيئاً يا موت، ولكن هل أحتاج إلى تسوية الآن وأنا أخاطب صديقاً؟.

بدأ كل شيء يوم رن جرس البيت بعدما حلّ الظلام في الخارج.. كنت أستعد للنوم بعدما سبقني إليه ولدي الرضيع..

خرجت لأفاجأ بسرمد يتطلع إلى من فوق باب الحديقة الخارجي..
دق قلبي بعنف وتساءلت عما أتى به في هذا الوقت.. اجتزت
الممر القصير بخطى تكاد تكون متعثرة، ولكنه ابتسم لي مطمئناً..
قال مجيباً على نظراتي المتسائلة:

- قد أسافر في الغد، ففكرت في أن آتيك ببعض المشتريات

لكي لا تحتاجي شيئاً حتى أعود.

أعقب قوله بأن رفع يده الحاملة للأكياس البلاستيكية ليريني
إياها.. فتحت الباب واستلمتها.. سألته عن المبلغ وطلبت منه أن
ينتظر حتى أجلبه له.. لم أسر سوى بضع خطوات حتى فاجأني
بقوله:

- أحتاج إلى شاي.. ألن تتحفيني بـ (استكان)؟

آه يا موت.. كلما استعدت أحداث تلك الليلة بخيالي، تبدأ
مخني في هذه اللحظة بالذات.. ألم تكن نيته واضحة؟.. ألم يكن
جنونا أنني سمحت له بالدخول لأعدّ له الشاي؟!.. أنا والله لا
أتردد لحظة واحدة الآن في أن أعترف بأنه جنون ما بعده جنون،
ولكن خليط المشاعر في تلك اللحظات الموغلة بالغموض منع عني
التفكير الصحيح.. لا يا موت أنا لا أريد أن أسوغ شيئاً.. أنا فقط
أقص عليك ما حدث.. نعم، كانت مشاعري خليطاً من كل
شيء.. دهشة وخشية وخجل ورغبة في التخلص من الشعور
بالوحدة، ولكن يبقى السؤال الأكبر هو.. هل شعرت لحظتها
بالرغبة؟! لم أعد أتذكر بالضبط، ولكن صدقني إذ أقول أنا أرجح
أن لا.. يمكنك أن تكذبنني، ولكنني لا أعتقد أنما قد خطرت لي
ببال في حينها لأنها كانت مستبعدة جداً.. المهم هو أنني لم أستطع

أن أقول (لا) فدعوته للدخول إلى الصالة، بعدما تركت باهما
الخارجي مفتوحا وذهبت إلى المطبخ لأعد له الشاي. بعد دقائق،
شعرت به، وأنا واقفة أمام الفرن منتظرة أن يغلي الماء في
(القوري)، يقتحم علي المطبخ.. شعرت بالرعب فجمدت في
مكاني.. كان أول ما تبادر إلى ذهني أنه سيقتلني!.. لَمْ شعرت بهذا
وكيف؟! أنا لا أعرف، فقط شعرت بذلك!.. قلت بصوت
مرتجف من دون أن استدير:

- ماذا؟!

فأتاني صوته من خلفي.. بدا لي أقرب مما توقعت.. قال:

- لا شيء

كانت هناك بحة واضحة في صوته.. فكرت بسرعة بأنواع
المضادات الحيوية التي تتوفر عندي في البيت لأنني تصورت لوهلة
أنه أصيب بنزلة برد وأتى بحثا عن دواء!.. لكنني سرعان ما
فهمت حين أحاطني بذراعيه وأقحم (سلبوحه) المتصلب حيث
يقحم في مثل هذه الحالات.. كانت الـ (لا) هذه المرة هي أول ما
قلت، ولكن يبدو أنها لم تكن بالحزم المطلوب، لأنه بدلا من أن
يرتدع، جعل كفيه اللتين استقرتا في البدء على بطني، ترتفعان
لتمسكان بصدري.. شعرت بقشعريرة تجتاح جسدي، قلت
بصوت خفيض:

- لا سرمد أرجوك.. لا يصح.

قلتها هامسة يا موت وكأنني أشجعه، ولكنني أقسم لك بأنني
لم أكن أقصد ذلك.. فقط كنت مبليبة الحواس.. قال هو، بصوته
الذي كان يزداد جشة كل لحظة، أشياء لم أعد أتذكرها، ولكن

مدلولها كان واضحا.. كان يريدني وهو يحدثني عن حب وغرام لم يعد يستطيع أن يكتبهما.. رددت كلمة (لا) أكثر من مرة ولكنه لم يرتدع، وظلّ يدك أبواب حصوني بمدقه ويديه، حتى فاضت الرغبة في أنحاء جسدي المحروم.. رأيت يا موت لم لا أستطيع أن أبوح بهذا لبشر.. أنا على يقين من أنه سيديني حين يسمع مني هذا.. سيقول أنه كان يجدر بي أن أدفعه عني.. أن أصرخ وأن أفضحه كما يستحق.. تبا لهم، ليعانوا أولا من كل الحرمان الذي شعرت به طوال ثلاثة أشهر.. لتحرقهم نيران الرغبة التي ألهبت جسدي وأنا أثقل كاهيهم لوحدي في سريري كل ليلة تمر بي.. ليقرؤوا من أنفسهم كما فعلت في كل مرة داعبت نفسي فيها، ثم ليحدثوني عن الفضيلة التي تجعلني أصدّ هذه الفرصة التي أتاحت لي وأرفضها.. أنا لا أقول أن كل النساء كن ليتصرفن مثلي.. لا، طبعاً لا، ولكنني فقط أريد أن أقول أنني كنت لحظتها ضعيفة.. ضعيفة جداً، وما كان اغواء سرمد إلا الفرصة التي لم أستطع تفويتها.

بعد أن شعر بالهيار مقاومتي نهائياً، أدارني ليلتهم شفتي بلسانه وهو يقحم لسانه عنوة في فمي.. لم يحاول أن يأخذني إلى مكان آخر، بل جعلني أستلقي على أرض المطبخ، ورفع منامتي، فبهت.. شعرت بنجل كبير لأنني لم أكن أرتدي لباس داخلي، فأنزلتها، ولكنه رفعها مرة ثانية ومنعني من انزالتها مرة أخرى ثم راح يعالج حزامه وينزل بنطلونه بسرعة ليكشف عن سيفه.. رأيته، فاثارني لأنه كان يفوق خنجر عواد حجماً وطولاً.. شعرت بليلي يكاد يعلن عن نفسه عياناً، فعرفت أنه مقتحمي الليلة لا محالة، فأغمضت عيني!

غمزت هديل خفية لولدها، مستغلة انشغال عذراء عنهما،
ففهم الشاب وغادر الصالة تاركاً أمه وضيقتها لوحدهما.. تمنعت
هي بوجه صديقتها الساهمة، فأعجبها جماله الذي يأبى أن يفارقه..
قالت:

- هل انتبهت إلى ابن العاهرة هذا.. لقد التصق بك وأبى أن
يفارقك.. ولولا وجودي لكان الآن يمتطيك بالتأكد.
أغرقت عذراء بالضحك وصاحت:

- يا لك من فاسقة!.

فضحكت هي الأخرى وقالت:

- صديقي، هو لم يهتم يوماً بواحدة من صديقاتي كما اهتم
بك اليوم.

- ذلك لأنه صاحب ذوق راق طبعاً.

- ها قد بدأت النرجسية.

فضحكتا معاً قبل أن تغرقا في سكون قصير، كانت هديل تفكر
خلاله في كيفية جعل صديقتها تحدثها عما حدث لزواجه الذي بدا
لها في حينه، ناجحاً جداً وسعيداً.. لم تكن تريد أن تخرجها، ولكن
الفضول كان يثقل عليها.. قالت عذراء فجأة:

- أية لعنة تسكن شوارع بغداد في هذه الأيام؟

شعرت هي بالقلق فتساءلت:

- ماذا؟.. ما الذي حدث؟!

- لم يحدث شيئاً محدداً، أنا فقط أتحدث عن هذا الزحام القاتل.. كدت أفقد الأمل بالوصول إليك هذا اليوم.
- قالت والحسرة تكاد تخنقها:
- هذا قليل مما عانىته طوال عقود يا عزيزتي.
- فضحكت عذراء برقة وقالت:
- وهل تتصورين أنك تخاطبين امرأة سويسرية يا هديل؟
- فابتسمت لها وقالت:
- لا أقصد هذا، ولكن ابتعادك طوال السنوات التي مرت، يجعل من أمر فهمك لحقيقة ما حدث صعباً.
- فقالت عذراء وهي تهز رأسها:
- في هذا أنت على حق، ولكن اللعنة.. كان يجب أن يجعلني حال بغداد هذا، أعزف عنها، ولكنني أفكر الآن بحالي حين أغادرها.. سأشتاق إليها كثيراً.
- آه ذكرتي.. متى ستسافرين؟
- بعد غد.
- فصاحت:
- بعد غد؟ يا لك من عاهرة!
- تساءلت عذراء ضاحكة:
- ولكن لماذا؟.. لِمَ التعدي ايتها المجنونة؟
- كم أكدت عليك أن نلتقي أكثر من مرة؟، ولكنك اختفيت ولم تظهر لي إلا اليوم لتبلغيني بأنك مسافرة بعد غد.
- أنا آسفة.. المشاغل كانت كثيرة جداً.

فقلت وهي تضحك:

- مشاغل!.. (آخ منك يا لساني).

فغصت عذراء بالضحك قبل أن تقول:

- بالضبط كما قلت.. آخ من لسانك.

ثم سككت، وبدت عليها علامات تفكير، قبل أن تكمل:

- نعم مشاغل كثيرة كان يجب أن أكملها خلال مدة بقائي هنا لأتخلص منها نهائياً.

وتطلعت إليها وأكملت:

- أقسم لك بأنني سأسافر ولم أكمل كل ما أردت فعله.

فقلت هي بنفاد صبر:

- حسناً، حسناً.. أصدقك، ولكن أئن تحديثيني؟.

فرفعت عذراء حاجبيها مستفسرة، فقلت هي:

- عن زواجك أقصد.

غامت عينا عذراء، وبان الحزن واضحاً على وجهها.. شعرت

هي بحرج وقالت بصدق:

- إن كان الحديث سيؤلمك، فاتركي الموضوع أرجوك.

لم يبد على وجه عذراء أنها كانت تستمع إليها، ومع ذلك

قالت متابعة:

- ولكن.

ثم سككت، فتساءلت عذراء قائلة:

- ولكن ماذا؟

فقلت وهي تحاول أن تداري شعورها بالحرج:

- سأموت من الفضول إن لم تفعلني.

فانطلقت عذراء بضحك صاحب لثوان طوال قبل أن تقول
وهي تحاول أن تسيطر على فقهقاتها:

- يا لك من ملعونة!.. والله أنا محدثتك بكل ما تريدين.
ثم خيم صمت قصير بينهما.. بدا على عذراء وكأنها تحاول أن
تستجوب ذاكرتها قبل أن تفصح عن بعض ما فيها.. قالت:
- والله يا هديل، في البدء تصورت أن الحياة قد ابتسمت لي
وإلى الأبد، فقد عاملني كأمية، وجعلني أشعر وكأنني
أعيش حلما جميلا.. شعرت بحبه الكبير لي، وكان كريما
معي.. إلى أقصى حدود الكرم.. ولكن.
ثم سكنت.. قالت هي بعد أن طال صمت صديقتها:
- ولكن؟!

- ولكن تبين أنه حلم.. مجرد حلم.
سكنت قليلا قبل أن تكمل:
- الحلم الجميل الذي أريد له أن يجمل الحقيقة البشعة.
لم تتحمل هي هذه المرة، فقاطعتها قائلة:
- ولكن ما هذه الحقيقة؟!
رنت إليها عذراء لثوان وقد ارتسمت على شفثيها ابتسامة
حزينة.. قالت:

- لم أنتبه مبكراً، ولكنه كان يصبر على أن أرتدي أحلى
الفساتين، لم يهتم لأسعارها ما دامت مثيرة.. أنا فسرت
الأمر على أنه يريدني أن أبدا الأجل بين النساء، ولا بد
أن تكون الاثارة إحدى مميزات الجمال عنده.. هكذا
ظننت ولذلك سايرته.

ثم سكتت وهي تتطلع في وجه هديل التي لم تنبس بشيء، بل بادلتها النظرات بصمت، فأكملت بعد قليل:

- لاحظت اهتمام الرجال بي.. أقصد أصدقاءه، فحاولت أن أنبهه لذلك، ولكنه لم يهتم، بل كان يبتسم لي ويقول "لا تكوني مترمة".. أحيانا، كنت أشعر بالغضب، ولكنني أثرت الصبر للإبتعاد عن المشاكل معه.. أنت تعرفين كم أكره المشاحنات.. هذا بالإضافة إلى أنه لم يكن يقصر بشيء خارج اطار هذا الموضوع.. صبرت وتجاهلت وواصلت معه حتى كان يوم طلب مني فيه خدمة بعدما عدنا من حفلة في بيت أحد أصدقائه.. طبعاً أبدت له استعدادي لفعل كل ما يريده مني، ولكنه فاجأني.. بل قولي طعني.

ثم سكتت، فقالت هديل التي كان الفضول قد وصل عندها إلى أقصاه:

- ما الذي طلبه منك؟.. قولي؟.

ولكن عذراء نظرت إليها بعينين مغرورقتين بالدموع، وقالت بصوت بدا وكأنه نسيج:

- لا أستطيع أن أقولها بسهولة يا هديل.. ألم تفهمي.. ألم يوضح لك كلامي، ما كان يريد.

لم تستطع هي أن تخمن ما كانت تقصده فاستغربت لسؤال صاحبها.. قالت:

- لا تحيريني يا عذراء.. أرجوك أخبريني.

ولكن عذراء لم تقل شيئاً، بل أصرت على صمتها فأكملت هي:

- هل طلب منك أن تقتلي شخصا من أجله؟!
- أفلتت ضحكة من بين دموع عذراء وقالت:
- لعنك الله.. يا لك من مهرجة!.
- فضحكت هي الأخرى وقالت:
- فأخبريني.. لا تحيريني يا عزيزتي.
- قالت عذراء بعد قليل من التفكير:
- بالحقيقة هو لم يطلب بوضوح، ولكن كلماته كانت كافية تماماً لإيضاح هدفه.. كان مقاولاً كما تعرفين ومصالحه مرتبطة بموظفين كبار في الدولة حينذاك، ولذلك طلب مني أن أداري مديراً في دائرة ما، مسؤول عن صفقة كبيرة كان في سبيله لإبرامها.
- فتساءلت هديل باستغراب:
- تداري!.. ماذا يعني ذلك؟.
- فضحكت عذراء مرة أخرى وهي تقول:
- يالبراءتك يا حبيبتى!.. ألم تفهمي بعد؟.
- بدت لها مدلولات الكلمات أوضح هذه المرة، ولكنها رفضت أن تتقبل الأمر كما بدا لها.. قالت:
- لا يا عذراء أرجوك.. قولي لي أن الأمر ليس كما فهمته للتو.
- فبدأ الحزن واضحاً على وجه عذراء وهي تقول:
- بل هو الأمر كما فهمت بالضبط يا هديل.
- شعرت وكأن شيئاً ضربها على معدتها، فقالت بغضب:
- يا للهول!.. (طلع غواد يعني؟!).

فارتسمت ابتسامة متعبة على شفتي عذراء وقالت:

- نعم يا عزيزتي.. (كواد).

شعرت بالندم عندما رأت البؤس الذي ارتسم على وجه

صديقتها.. همست:

- آسفة.

ولكن عذراء حركت يدها وكأنها تعبر عن لا مباليتها، ثم

تابعت تقول:

- منذ تلك اللحظة، تحولت حياتنا الى جحيم.. هو يضغط،

وأنا أرفض.. تصوري، اهتمني بأني لا أحبه لأنني لم

أرضخ لطلباته الحقيرة.. بل أنه اهتمني بشرفي ذات مرة.

قالت هذا وراحت تضحك بشكل هستيري، الأمر الذي زاد

مشاعر هديل سوءاً.. قالت:

- كفى يا عذراء، أترك الموضوع.

ولكن عذراء قالت باصرار:

- كلا بل دعيني أفصح هذا الحقير.. أنا لم أحدث أحدا بهذا

من قبل.. ذات ليلة، تجاوز حدود كل معقول، فقد أتى

مصطحباً معه أحد (مسؤوليه) إلى البيت، وجلسا ليتناولوا

الخمر وطلب مني أن أخدمهما.. حين نظر إلي ذلك

المسؤول، بل حين أكلني بنظراته، شعرت بالقشعريرة

تحتاج جسدي، فقد كانت نظرة ملؤها الاشتها والطمع،

ومع ذلك قبلت أن أخدمهما ما دام هو موجود.. وعلى

كل حال كان هذا أهون مما يطالبني به قبلها.. ولكن ذلك

لم يكن كل شيء، فقد فاجأني وأنا في المطبخ بقوله أنه

مضطرب للخروج لقضاء حاجة مستعجلة، ثم أعقب قوله فوراً بالخروج وأنا أسيرة ذهولي.. تركني الديوث لوحدي مع ضيفه ففهمت اللعبة فوراً، ولذلك لم أتردد كثيراً، فخرجت أنا الأخرى كالمجنونة وتركت ضيفه لوحده في البيت.. لجأت إلى بيت أهلي ولم أعد إلى بيته الذي لم أراه بعد أن تركته تلك الليلة، أبداً.

سكتت فجأة وبدت وكأنها تريد أن تسترد أنفاسها التي بدأت تتسارع وهي تتخفف من أحمالها تلك.. قالت بعد قليل:

- لجأت إلى أهلي ورفضت أن أرجع إليه.. لم يكن قد تبقى من أهلي غير أمي وأخي، وكانا حينها يخططان للسفر عن قريب.. أقصد للهجرة، فأقنعتهما أن (أهج) معهما، فوافقا بناء على اصراري، ولكنهما اشترطا على أن أنال الطلاق منه، فرفضت.. كانت علاقته تجعل منه خصماً عنيداً وعدواً شرساً وبامكانه أن يضيّع حياتي إن أراد، ولم أكن لأسمح له بذلك.. طالبت أخي بأن يتدبر لي جوازاً مزوراً لكي أسافر معهم باسم ثان.

سكتت وهي تهزّ برأسها لما تذكرته في تلك اللحظات كما يبدو.. قالت بصوت حزين:

- زلزل الأرض تحتنا حين رفضت العودة معه إلى البيت رغم تعدد محاولاته، فبدأت زيارات الشرطة المستمرة لبيتنا وزيارات متيمين إلى ما لا أعرف اسمه من الدوائر الأمنية، ولكنني لم أَرْضَخ.. لم تنقطع تهديداته، ولكنني قاّلت قتال اليائسين لأنني كنت أعرف أنني إن عدت إلى بيته فلن

أخرج منه سالمة أبدا.. آآآآآ يا أخي الحبيب، كم
أحبك!.. لقد شعر بي حتى من دون أن أخبره بكل
التفاصيل المخجلة التي لم أكن أجرو على أخباره بها
يا هديل.. ساندي ورفض عودتي رغم ما عاناه بسببي،
حتى إنه اضطرنا إلى قضاء الشهر الأخير بعيدا عن بيتنا
الذي تركناه كما هو، ولجأنا إلى أقارب لنا لم يكن
يعرفهم.

ثم سكتت لتخوض محاولة أخرى في استرداد الأنفاس..
لم تعرف هي كيف تعلق على ما سمعت ففضلت السكوت هي
الأخرى رغم حيرتها، ولكن عذراء أنقذتها من حيرتها حين واصلت
قائلة:

- يا لأخي المسكين! كم عانى بسببي وهو يدور في
(سوك مريدي) والأزقة القريبة منه لكي يوفر لي أفضل
ما يمكن شراؤه من جوازات، وقد ذهبت معه مرة
مضطرة، وما زلت أحلم أحيانا بتلك الوجوه البشعة التي
كنا نضطر للتعامل معها.. هناك، لم يكن لنا أن نغفل ولو
للحظة لأنهم كانوا على استعداد دائم لسرقتنا مع أول
غفلة يقتنصونها منا.. المهم هو أنني حصلت على الجواز
أخيرا، فأبكرنا بالرحيل حتى قبل الموعد الذي كانا قد
حدده قبل أن أفرض نفسي عليهما.

حين سكتت هذه المرة، لم يبد عليها أنها ستعود إلى الحديث مرة
أخرى، فلم تعرف هديل بم تعلق، بل فضلت أن تسكت رغم
حيرتها، ولكن عذراء أنقذتها من حيرتها حين واصلت قائلة:

- في عمّان، كانت معاناة أخرى.. أنت تعرفين أننا تعودنا على مستوى معين من العيش أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه مرفه، ولكننا فقدنا كل امكانيات الرفاه خلال الأشهر الطويلة القاسية التي قضيناها هناك.. نعم، لم يقصر الأقارب معنا.. لم يقصروا أبدا، ولكن لكل إنسان حدوده، ولم يكن من المعقول أن يجرموا أنفسهم من لذيذ العيش وهم في غرباتهم من أجلنا.. لقد أرسلوا إلينا أموالا كثيرة، كثيرة فعلا، ولكن احتياجاتنا كانت كثيرة أيضا، أكثر مما كان يمكن لتلك الأموال أن توفره لنا.. وهكذا نعق اليأس في نفوسنا ونحن نعاني ملل الانتظار الذي لم يبد عليه أنه سينتهي يوما.. ندم أمني وأخي لمغادرتهم العراق، ولكن مأساتي كانت أكبر، ففي الأقل أن الهجرة كانت فكرتهما، فيما اضطرت أنا إلى ذلك اضطرارا، ولذلك حققت أكثر على من كان السبب.

انتبهت هي إلى أن الدموع كانت تهطل مدرارا من عينيها وهي تقول كلماتها الأخيرة.. كانت تبكي بحرقة، فشعرت بالعطف عليها وتحركت لتحضنها، ولكن عذراء أوقفقتها بحركة من يدها، وابتسمت لها من خلال دموعها وقالت:

- لا بأس يا حبيبي، أنا بخير، ولكنها فقط تلك الذكريات المؤلمة.

ثم سكنت لتفكر قليلا قبل أن تواصل قائلة:

- على كل حال، هي أصبحت من الماضي الآن، وأنا لست بنادمة على قراري، فهو في الأقل أحسن بكثير من قرار الزواج به.

تطلعت في وجه صاحبتها وهي تفكر في ما يمكن أن تقوله لها لكي تخفف عنها ثقل الذكريات التي جعلتها تستعيدها، ولكن عذراء فاجأها بسؤال لم يكن متوقعا بالنسبة لها إذ قالت:

- ماذا عنك يا هديل.. كيف هو عواد معك؟

رغم المفاجأة، إلا أنها قالت بحدوء مصطنع:

- عواد!.. من هو عواد؟!

بانت المفاجأة على محيا عذراء، فقالت متلعثمة:

- آسفة هديل.. ظننت.. ولكن مستحيل!.. هو عواد..

أليس هو اسم زوجك.. أم أنك تزوجت غيره خلال غيابي.

فضحكت هي وقالت:

- زوجي.. من هو زوجي؟

عندها فقط بان الفهم على وجه عذراء ففقهته وقالت:

- يا لك من عاهرة.. ماذا تقصدين؟

ولكنها لم تجبها إلا بقهقهة جوابية، ومع ذلك تساءلت عذراء

باصرار:

- لا أرجوك هديل.. اصدقيني القول.

فقالت وهي تبتسم:

- لا كذب في الأمر يا عذراء.. هو ما فهمته بالضبط.

بان الذهول على وجه عذراء وقالت:

- أنت.. مستحيل.. لا اصدق!

- وما هو المستحيل.. أمحرم علي أن أحب.

- ولكن زوجك.

- (كس أحيته)
- تمعت عذراء في وجهها للحظات قبل أن تقول:
- هل أنت في كامل قواك العقلية؟!
- نعم أنا في كامل قواي العقلية.. كفانا نفاقاً، أنا أحبه أكثر من روجي.
- فصاحت عذراء بنفاد صبر واضح:
- تحبين من يا هديل؟!
- حيّان طبعاً.. حبيبي حيّان.
- ولكن!
- بلا ولكن.. أنا أحبه وكفى.
- ولكن من هو؟
- آه يا عذراء، هو شخص ظهر فجأة في حياتي، والغريب أنه أتى بصحبة زوجي.. يعني فحلي هو الذي أهداني إياه وكان أعظم هدية قدمها لي طوال حياتنا.
- كانت عذراء تتابع كلامها وقد بانت الدهشة واضحة على محياها.. قالت:
- لم أتوقع منك ذلك.. أنت بالذات، لم أتوقع منك مثل هذا.
- ضحكت هي وقالت:
- وما الذي تتوقعينه مني.. أو لا تتوقعين؟!
- لا يا هديل إلا أنت.
- ما (إلا أنت) هذه يا شريفة؟.. أنا أحببت ولم أزن.
- تمعت عذراء في وجهها ملياً قبل أن تتساءل:

- يعني؟!

ولكنها لم تدعها تكمل عبارتها، بل قالت مقاطعة:

- بلا يعني.. قلت لك لم أزن.

فقالت عذراء مبتسمة:

- طمأنتني.

ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك وهي تقول:

- وكأن الأمر بيدي.. هو الذي يرفض.. ليته أراد، لمنحته كل شيء.

ارتسمت الدهشة على وجه عذراء قبل أن تضحك وتقول:

- يا لك من عاهرة.. محترفة.. أبحرئين على الاعتراف بهذا؟!

حينها، شعرت بغصة فقالت بصوت هادئ:

- لا أريد أن أكذب عليك يا عذراء، لو أراد، لمنحته كل

شيء فهو ليس ككل الرجال.. أتعرفين، لو كنت معه في غابة، فلن يهمني أن أثبتن دربي أم لا.. أو ان أرى السماء أو لا أراها، ولن اهتم لأية حيوانات سأرى، لأن عينيه ستكون كعيني الوحيدة.. وأنت تعرفين أن الأرواح الآسرة، نوافذها عيون، وللعاشقين قلوب مرهفة، فلا غرابة.. أمرتني عيناه، فأحبته.

فقالت عذراء بصوت محايد:

- ياااه.. إلى هذا الحد؟!

فأومأت هي برأسها وقالت:

- حين يطلّ عليّ.. يثب قلبي.. ويستخف الطرب بدمائي،

فتبتل عروقي.. تحتاحني حمى لذيدة، فتسبقني ضحكتي

إليه.. أقول له، يا حبيبي الاتقان أمر معرفي، وأنا أعرف،

فقط دعني أحبك كما أريد وستعيش في عالم لا تتخيل وجوده، ولكنه يرفض.

- يرفض.. إذاً هو لا يحبك.

- أعرف.. ولا يهمني

- لا يهتمك؟! فأين هي كرامتك؟.

فضحكت بصخب وقالت:

- كرامة! نحن نتحدث عن الحب هنا، لا عن حرب أو

قضايا وطنية يا عذراء.. في الحب لا نفكر إلا بالاشباع

وحاجتي لم تكن الا أمرا بسيطا.

- وما هو هذا الأمر البسيط؟!

- قبلة.. مجرد قبلة.

فقهقهت عذراء قبل أن تقول:

- قبلة! وما قد تفعلين بها؟

- لا تضحكي أرجوك، فأنا لم أطلب إلا حقي.. أليست القبلة

زكاة المحبة وهي استحقاق المحتاجين.. أنا محتاجة يا ناس.

فقالت عذراء:

- كفى تهريجا أيتها المجنونة.. ما الذي تريدين أن تفعلني

بنفسك؟

لم تشعر هي بالرغبة في الرد هذه المرة، بل سكتت.. فقالت

عذراء بعدما طال سكوتها:

- أليست مرتاحة في حياتك يا هديل؟

نظرت إليها فشعرت بمحبة كبيرة لهذه الصديقة الطيبة

الصديقة.. قالت بهدوء:

- أحيانا يا عذراء، لا أعرف ما الذي يصيبني.. فجأة أشعر وكأنني لست أنا.. أقرف من الأشياء وأكره الناس من حولي، فأحاول أن أتصرف بطريقة تضايقهم.. أو في الأقل تفاجئهم.

شعرت فجأة وكأن الكلمات قد بدأت تخونها بعدما دخلت مدخلا لم تهياً له جيدا، فيما بقيت عذراء صامتة، تنتظر منها أن تكمل ما بدأته.. قالت بعد أن بذلت جهدا مضاعفا في التركيز:

- أشعر وكأن فجوة تفتح في داخلي وأنا أقف على شفيرها.. أخاف، ولكنني لا أجبن، بل أشعر في أعماقي بأن لدي المقدرة على فعل ما أريد ولو لمرة واحدة، وليحدث بعدها ما يمكن أن يحدث.. أهجر الصيدلية، وأترك عمالي البيتية وأضيع لأيام وأنا أريد أن أقدم على شيء لا أعرف ما هو.. أشعر بحاجة إلى أحد ينجدني، ولكن كيف لي أن أجده وأنا لا أحرؤ على اخبار أحد.. أظل وحيدة حتى يهدّني التعب، فأعود من منفى أعماقي الجحيمية.

كانت عذراء أبان ذلك تتابعها بنظرات حانية.. مشفقة.. قالت بعد أن سكنت هي:

- أنا أعتقد بأن ما يحدث لك أمر طبيعي يا هديل.. معاناة على مستوى شخصي في ظروف عامة كظروفكم الحالية لا بد أن تحفر عميقا في وجدانك.. ولكنني أعرفك، بطلة، ولذلك لا أخاف عليك.

عندها فقط شعرت بعبثية ما تحاول قوله لصديقتها، فابتسمت لها بأسى وآثرت الصمت.

آه يا موت، كيف يمكن للقدر أن يعاملنا بهذه القسوة؟.. كيف يمكن للحظة ضعف أو تخاذل.. أو حتى استهتار، أن تغير أقدارنا هكذا؟.. لا، أنا لا أريد أن أحمل القدر ذنبي، ولكنني والله لم أكن حتى تلك اللحظة مهيأة لأن أفعل ما فعلته، ولكن هذا ما حدث، وأنا لست هنا لأقدم لك كشف حساب، بل أنا أريد أن أحدثك فقط.. أن أبوح لك.

لم يكن لما حدث مع سرمد أن يمر مرور الكرام على نفسي.. بل كان حدثاً كبيراً.. أمراً جليلاً، سرعان ما أدركت فداحته ما أن نهض عني بعد أن أستردينا أنفاسنا.. شعرت لحظتها بعار رهيب فطرده فوراً.. حاول أن يراوغ ليبقي، تعلل بالشاي، فأغضبني وأثار جنوني.. سببته ولعنته وطرده شر طردة.. طرده ولم أصغ لتوسلاته في الأيام التالية.. كنت خائفة.. مرعوبة، خشية أن يطلق العنان للسانته أمام الآخرين، ومع ذلك لم أرضخ وأصررت على موقفتي.. شعرت بوحدة رهيبة أيامها، إذ لم يكن هناك من يمكن أن أشكو له همي وخوفي.. رباه، كيف كان يمكن أن أخبر أحداً ما فعلته بنفسي أساساً؟!.. وهكذا عايشة عاري الذي لم أحسب له حساباً.. عاري الذي تلبسني في لحظة غير متوقعة، عايشته برعب حتى عاد عواد ذات يوم، ففرحت.. فرحت به جداً.. قرفت من وحدتي ومخاوفي فبدا عندما أتى وكأنه طوق النجاة الذي ألقى لي في اللحظة الأخيرة قبل الغرق نهائياً.. قال أنه أتى لقضاء بضعة أيام معنا، فلم أناقشه، بل

تلقيته بفرح صادق حتى إنه تفاجأ كثيراً، سألني ولكنني تفاديت الرد عليه.. ثم منحته نفسي في تلك الليلة، ولأول مرة منذ بدأت حياتنا الجنسية المشتركة، كما لم أفعل من قبل أبداً.. أردت أن أشعر بالمتعة معه، فجاريته في كل ما أراد واشتهى.. ولكن اللعنة!.. لم أشعر بالمتعة التي شعرت بها مع سرمد ولا بلغت الذروة التي أبلغني إياها ذلك اللعين.. قدمت أفضل ما عندي لعواد، ولكنني لم أستطع أن أتفاعل معه كما أردت رغم أنه اعتبرها المرة الأجل في حياته.. في الصباح التالي استرجعت ما حدث، فأرجعت الأمر إلى مشاعري السلبية تجاهه منذ أن التقينا، وهكذا قررت أن أحبه أكثر.. أن أجبر نفسي على ذلك لكي أشعر معه كما يجب.. أقسم لك يا موت أنني كنت صادقة في قراري ذاك، فقط لكي أكفر عن ما اقترفته بحقه وبحق نفسي في تلك الليلة، ولكن اللعين لم يعتني على الوفاء بوعدتي، فقد شاءت المصادفة أن أكون قريبة من صالة بيتنا لسماعه وهو يحدث صديقه لؤي الذي زارنا للتهنئة بعودته.. كان يقول "ألا تعرف أن الرجل منا يجب أن يحسب لكل شيء حسابه؟.. يجب أن أمتطي الفرس بين الحين والآخر لكي لا تجمع.. (الكفز) يا صديقي.. ألسنت متزوجا يا لؤي، ألا تعرف ذلك؟!"

لم أكن بحاجة إلى ذكاء كبير لأعرف أنه كان يقصدي.. يتكلم عني!.. ابن العواهر.. سليل المواخير وورث قرون (الكواويد).. يأتي (ليكفزي)!.. "أهذا كل ما تجيده يا ابن أمك؟.. اطمئنك، لقد جمحت الفرس أيها التافه، وفات الأوان.. لقد وجدت فارسي، ولا حاجة لوجودك يا عنتره".. كدت اقتحم الصالة لأقول له هذا أمام صديقه فأخزيه، ولكنني لم أجرو.. فبيتها له.

آه يا موت.. آه يا صديقي.. لم أعد أتذكر الآن إن كنت قد
حزنت لتلك الكلمات القاتلة التي سمعتها، أم فرحت!.. لا
أعرف.. وحقق لا أعرف، ولكن الانفعال يكبح عقولنا ويسمح
للا شعورنا الخطير بالتصرف.. فحين سمعته يقول تلك الكلمات،
جنّ جنوني وتكالبت الشياطين، كل أنواع الشياطين عليّ.. لم أكن
أعرف ما أريد أن أفعله لأنتقم منه لأجل تلك الكلمات.. المهم،
كانت البداية أنني رفضت تلك الليلة الانصياع إلى رغبته.. أنا لم
أعاتبه على ما قال لأنني لم أشعر بالرغبة حتى في تبادل الكلمات
معه، وكان يريدني بشدة ولكنني رفضت.. حاول.. أمر.. توسل،
ولكنني لم أستجب، متعلقة بعدم رغبتي التي لم أشأ أن أعطيها.. فقط
رفضت، وهكذا واصلنا ابتداء من تلك الليلة شجارنا التي
انقطعت حينما سافر.. تشاجرنا حتى ملّ فسرّع عودته إلى منفاه
الاختياري، لأعود أنا إلى رجلي الجديد.. نعم، ما أن سافر حتى
اتصلت بسرمد ودعوته فأتى.. آه يا موت ما الذي فعلناه أنا
وسرمد.. بل قل ما الذي لم نفعله؟.. لقد منحته نفسي هذه المرة
راغبة، فأقبل عليّ مشتتاً ولم يقصر بحق لذتي يوماً.

كان يأتيني كلما حلّ الظلام، ونام ولدي.. يبقى معي حتى
ساعة متأخرة من الليل، أو قل، ساعة مبكرة من الصباح، ولك أن
تخيل ما كان يحدث لأنني لن أجروّ على أن أحدثك بتلك
التفاصيل.. كانت مهرجانات رغبة يا موت، وشلالات اللذة
تنهمر عليّ! فقد أجاد اللعين إدارة مفاتيح جسدي، جسدي الذي
بدا وكأنه قد استيقظ من سبات طويل، أو ولد في تلك الأيام فقط
على وجه أصح، فعشقتة بعدما اكتشفت طاقاته الحقيقية.

ذات يوم، وكان قد تعود في بعض الصباحات أن ينتظرني بسيارته، خاصة في تلك التي لم نكن نستطيع أن نلتقي في لياليها.. كنا نوصل ولدي إلى الحضانة أولاً قبل أن نكمل الطريق حتى المستشفى التي أعمل بها.. طبعاً كان يتصيد لحظات لذة مني خلال الطريق، ولكن ما يناله لم يستطع يوماً أن يجعله يكتفي.. وهكذا استقلت سيارته عندما توقف بها إلى جانبي، على أساس أننا سنوصل ولدي أولاً، ولكنه سار في غير طريق الحضانة.. رفض أن يجيني على أسئلي المتكررة حتى شعرت بأننا غادرنا بغداد.. أنا لا أنكر بأنني قد شعرت بالخوف، ولذلك تلاحقت أسئلي ولكنه رفض أن يجيني بشكل مباشر، بل راح يراوغني ويتلاعب بأعصابي حتى أخبرني بأننا ماضون إلى الحبانية.. طبعاً اعترضت وطالبته بأن يعيدني، ولكن أتى للعقل أن ينتصر عندما تكون الرغبة خصمه؟.. شعرت في أعماقي بالسعادة والإثارة لما كنت موعودة به في ذلك اليوم الاستثنائي.

أنا لا أعرف كيف دبر أمر استئجار ذلك البيت في تلك الظروف، ولا همّني أن أعرف، كما لم يهمني أن البيت قد بدا لي وكأنه شبح لتلك البيوت التي كانت في الثمانينات.. كان بئساً.. بئساً جداً، ولكنني لم أفكر إلا بما سنفعله، وفعلنا الكثير.. هناك، قضينا معظم اليوم عارين، وفعلنا ما لا يخطر على بال أحد.. كم مرة اقتحمني هناك؟.. لم أعد أتذكر، ولكنه لم يوفر وضعية من الأوضاع التي كنا نراها سوية في تلك (الأفلام) إلا وطبقها.. كان ذلك اليوم حفلاً وحشياً للجنس أقمناه، حتى إنه لم يتح لي الفرصة لأن أضع ولدي، بل.. آه يا موت أعذرني، فأنا أخجل

من أن أخبرك بما فعله وأنا أروض ولدي.. آه كم نسيء إلى أنفسنا أحيانا عندما تستخف بنا المتعة.. كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي آلني في ذلك اليوم الاستثنائي، فأية أم تافهة كنت عندما ارتضيت بذلك؟!.. ولكن هذا ما حدث.

عندما عدت إلى البيت مع غروب شمس ذلك اليوم، رأيت عائلة زوجي كلها بانتظاري في الشارع بعدما أقلقهم تأخري.. كان جسدي ينبض بالإشباع وأنا في سيارة الأجرة التي استقلتيتها بعدما أنزلني على مسافة من بيتنا، وكان عقلي يشتغل بأقصى طاقاته بعد ذلك اليوم الجهنمي المتعة، فلم أعجز عن (تسفيط) الكذبات لهم، حتى جعلتهم يأخذوني بالأحضان وهم يحاولون أن يخففوا عني معاناة ذلك اليوم (الرهيب) الذي عشته!.

لم تكن مغامراتنا من دون مخاطر طبعاً، فقد اضطرت ذات يوم إلى اخفائه في الحمام بعدما قرعت علينا أم زوجي الباب وهو عندي.. وكان من حسن حظه أنها لم تكن لتحتمل البقاء عندي طويلاً، ولذلك حان اطلاق سراحه سريعاً، ولكن حظه لم يكن دائماً بهذه الجودة، فقد اضطرت ذات ليلة أن يبقى على السطح لساعتين أو ثلاث في جو زمهيري، عندما فاجأتني صديقة لي بزيارة مفاجئة مع زوجها وهو عندي، ولكن ذلك لم يحدث إلا نادراً، فقضينا الليالي التي إلتقينا فيها بجمع ولذات لم أتخيل قبل أن أعرفه، أن لها وجوداً.. أعطى للجنس معنى آخر عندي، بل لنقل أنه عرفني على النسخة الحسنة منه، ولكنها كانت غير شرعية مع الأسف.. بالحقيقة، كنت أعاني أيامذاك قليلاً من تأنيب الضمير

بعد كل مرة غمارس فيها جنوننا، ولكنني لم أشعر بالندم الحقيقي إلا بعد أشهر من بدء تلك العلاقة المحرمة.

كان سرمد قد بدأ خلال تلك الأشهر يدّعي بأنه يحبني، ويطالبني بأن أجعل عواد يطلّقني، لكي يتزوجني هو، ولكنني لم آخذ الأمر بجدية أبداً.. لا أعرف، لم أكن أنظر إلى علاقتنا تلك بجدية.. كانت مجرد مغامرة بالنسبة لي، ولم يكن سرمد إلا أداتي لبلوغ اللذة.. بالاضافة، إلى أنني لم أكن أصدق ادعاءاته بالحب.. حسناً، من الصعب علي أن أشرح لك هذا، ولكنني في أعماقي كنت أشعر بأنه لن يكون أحسن حالا من عواد بكثير إن تزوجته.. المهم، تعود سرمد أن يرسل لي بطاقات قهقشة تتضمن كلمات غزل في كل مناسبة، خاصة وأنه بات يعرف كل مناسباتي الشخصية ايضاً، وذات يوم، وقعت إحدى تلك البطاقات بيد عواد خلال زيارة له.. أنا لم أعرف كيف حدث ذلك الخطأ، ولكنه قد حدث.. آه يا موت، ألم يكن من الطبيعي أن يأتيني عواد حال اكتشافه للبطاقة ليسألني عنها، ويحاسبني.. أو ليحاسبني حتى من دون سؤال، بل ليعاقبني كما يشاء، فهو في النهاية يجب أن يكون شرقياً، ولا أعتقد أن هناك أمراً يهز الرجل الشرقي مثل خيانة زوجته.. ولكنه لم يفعل!.. التافه.. السافل.. المنحط.. الديني.. لم يفعل.. تصور أنه أخذ البطاقة وذهب إلى أهلي ليفضحني عندهم من دون مواجهتي أولاً.. أنا لم أفهم يوماً لم تصرف كذلك.. ما الذي فكر به، وما الذي كان يخشاه من مواجهتي.. أليس ما فعله خشية من مواجهة؟!.. أنا لا أعرف.. لماذا لم يأت ليحاسبني؟.. والله كنت على استعداد لأن أعتذر منه

حال مواجهتي.. لا، لا، مستحيل أن أفكر بأن أواجهه، بل كنت لأعتذر منه فوراً، وأن أتوسل به أن يستر فضيحتي لأنني سمحت لصديقه أن يغازلني، وأن أعلن له عن ندمي لأنني لم أكن أمتلك وسيلة غير تلك بعد أن انكشف أمري.. ولكنه ذهب إلى أهلي ليشيرهم عليّ كما قد يفعل أي جبان، ثم عاد إلي ليطردي، والحق أقول أنه قد هزمني بمعركته الجبانة تلك، لأنني وجدت أهلي ضدي حين التجأت إليهم، بل أن شقيقي الصغير تجرأ على ضربني للمرة الأولى في حياتي عندما أعلنت لهم أنني سأطلب الطلاق منه.

تساءلت مع نفسها:

- "من أين تأتي أنامله بكل هذا السحر؟"

كانت مستسلمة له كلياً وهو يداعب جسدها الملهب.. تتطلع إليه، فتشعر وكأنه ليس حقيقياً.. بل لعله بدا لها حقيقياً أكثر من اللازم!.. حاولت جاهدة أن تستجيب لرفضها الكامن في أعماقها، ولكن ولعها المفاجئ به، وأصابه الماهرة التي تعتصر اللذة من كل خلية في جسدها تلامسها، كانا يمنعاها.. لامس خديها وعنقها.. داعب ثدييها وحنّت أنامله على حلمتيها، ثم انحدرت ببطء، فانبحست لذة عارمة من المكان الذي ظنت أنه واصل إليه.. شعرت بخوف ففكرت بأن تطلب منه التوقف، ولكنها عجزت عن أن تنطق بالكلمات اللازمة.. فكرت بنهاية تلك الملامسات فعرفت أنها واصله الذروة التي حرمت منها طويلاً، في تلك الليلة.. تذكرت مناكسات صديقتها هديل، ففكرت مع نفسها "بس لا يشوف محطّان الشيطان هناك!)".. ولكنها ولدهشتها، راحت تصيح بشكل محموم:

- استمر.. استمر.. استمر حبيبي.

عدّلت جسدها لتتخذ الوضعية المناسبة، وأغمضت عينيها، ولكنها شعرت فجأة بغياب أثر أصابعه على بشرتها المتحفزة، أدركت أنه سيتوقف فصاحت:

- لا تتوقف ماهر أرجوك.. استمر.. انقذني فأنا في ورطة..

هيا تابع.. استمر.. أقوى.. أقوى.. ألد.

أمعنت اصابعه في الغياب، ففتحت عينيها، ولكنها لم تره..
كسر بصيص النور المتسلل من بين ستائر نافذتها شوكة الظلمة المحيطة
بها فأدركت حقيقة الموقف.. شعرت باحباط لأنه لم يكن أكثر من
حلم، ولكنها سرعان ما ثمالكت نفسها وأرغمتها على أن تسعد لأن
الأمر لم يكن حقيقة.. كانت مغطاة بالعرق، فبدلت جهدا حتى
تنهض من سريرها وهي تقول لنفسها:

- أبعد كل تلك السنوات تريدين أن تسقطي هكذا
يا سلمى.. تبال لك.

أنارت الغرفة وتوجهت إلى (لاب توبها) الرابض على المنضدة
الوحيدة في الغرفة.. فتحتة فبدأت الشاشة تعمل حتى اكتملت
صورهما.. ضغطت على أيقونة (الفيديو).. بحثت بين الرسائل حتى
ظهرت آخر (دردشة) لها مع ماهر في تلك الليلة قبل أن تنام.. قرأت
لبعض الوقت فشعرت بالحرج.. ضغطت على اسمه في أعلى النافذة
فظهرت صفحته الشخصية.. بحثت في الاعدادات حتى ظهر لها خيار
الحظر فضغطت عليه بالمؤشر.. أغلقت الشاشة وتنفست الصعداء..
نفضت وهي تخاطب شبحا:

- أتريد أن تلعب دور الشيطان معي وأنت بسن ولدي.. مع
السلامة.

عادت إلى الفراش لتضطجع عليه.. استعادت ذكرياتها مع
زوجها الراحل، فاشتاق إلى.. اشتاقت كثيرا، ولكن صورة هديل
سرعان ما تدخلت، فارتبكت الصور في مخيلتها!.. تداعت مع
الأفكار حتى قالت لنفسها "أكبر دليل على شكوكي هي الدموع
الغزيرة التي سفحتها عليه أمامي خلال المأتم".. ولكنها سرعان ما

استدركت قائلة لنفسها "ولكن أليس هذا هو أيضاً دليل على مدى وفائها لي؟!". .. عرفت أنها لن تصل إلى نتيجة هذه المرة أيضاً، فنهضت للتوجه إلى الحمام، حيث جعلت المياه المنهمرة تزيل لزوجة العرق عن جسدها.. ارتدت ملابسها وخرجت.. مدّت سجادة الصلاة بالاتجاه المطلوب.. صلّت ركعتين قبل أن تجلس على السجادة وهي تردد الأدعية منتظرة سماع صوت الأذان لأداء صلاة الفجر.

آه يا موتي العزيز لو تدري كم جاهدت نفسي لكي أتفادى ذكره مرة أخرى في مذكراتي هذه، ولكنني فشلت.. فشلت بامتياز، وأنا سعيدة لذلك.. فما نفع حياتي إن لم يكن يزينها هو.. فشلت وهأنذا أتذكره الآن لأن وجهه ملأ عليّ حياتي حتى لم تعد ذاكرتي تستطيع أن تعاود نشاطها قبل المرور بملامحه حال استيقاظي من النوم كل يوم.. عجيب كيف يمكن لشخص أن يستحوذ على ذاكرتنا بهذه الطريقة.. ولكنه الحب أليس كذلك؟.. هو الحب بكل تأكيد، وأنا أحبته بالفعل.. أحبته بطريقة لم تخطر لي ببال يوما، ولكنها حدثت.. أنا ما عدت أطيق حياتي إلا لأنه موجود فيها ولا أريد شيئا من حياتي لأن وجوده بات يكفيني.

ولكن ما الذي أردت قوله؟.. آه تذكرت.. أردت أن أتحدث عنك يا حيّان.. من أين ظهرت لي؟ وكيف أمكن لذلك التافه أن يدخل ملاكا مثلك إلى حياتي؟.. ولكن هذا ما حدث، ولا أعرف ما فائدة السؤال ما دام الأمر قد حصل بالفعل!.. أنا ممتنة للظروف التي جعلتك تظهر في حياتي، بل أنا ممتنة حتى لعود لأنه اصطحبك إليّ.

نعم يا موت، أنا أحبه.. أحب حيّان.. أحبه بطريقة لم يخطر لي ببال أنني قادرة عليها وأنا اللاهية العابثة كما كنت أتصور نفسي.. ولكنني قدرت، وهأنذا استطيت الحياة مجرد أنها تعديني بلقياه بين الحين والآخر.. آه يا موت، ما أحلى الحب حين يتملك علينا مشاعرنا.

تبا لهذا النسيان.. قبل أن أبدأ، يكون وجداني مثقلا بالأفكار، ولكنني ما أن أمسك القلم حتى تتطافر الأفكار مبتعدة عني وابقى أطلع في أوراق هذا الدفتر ببله.. لم يحدث هذا لي يا موت؟!

فاجأت أهلي تماما.. وما أدراك ما أهلي.. هم الذين ابتلوني ببعلي.. بنسأله من رجل.. فاجأهم بأن قررت في اليوم التالي من لجوئي إليهم بعد طردي من بيتي، أن أتجنب.. أبي لم يتقبل الأمر طبعاً، ولكنه لم يستطع منعي من تنفيذ قراري على الفور.. عدت إلى الحجاب كما فعلت تماماً يوم عاقبتني أمي ذلك العقاب الرهيب.. آه يا موت، لماذا عاقبتني بهذه الطريقة.. أجبني يا موت.. لماذا؟!.. ولكنه كان رهيباً وأنا كنت مجرد طفلة!

لا تسويغ عندي للأمر يا صديقي فهكذا كنت أواجه الأمر كلما شعرت بالذنب لأمر ارتكبته ولطالما صليت ركعتين.. أو حتى صليت لأيام كلما شعرت بأنني قد اقترفت شيئاً سيئاً.. ثم أعود إلى سيرتي الأولى.. أنا يا صديقي بامكاني أن أكذب على الكثيرين فأنا ذكية.. ذكية أكثر مما يتصور المحيطون بي.. كذبت عليهم ونجحت، ولكنني لا أود أن أكذب عليك.. الدين لم يكن خياراً لي يوماً، ولكن يبدو أنني كنت أُلجأ إليه كلما سدّت الأبواب في وجهي.. هذا ما يبدو لي الآن.. أنا أعاني يا موت كثيراً من أجل التركيز وتذكر ما أريد قوله فسأخني إن أغفلت بعض الأشياء لأنني على يقين من أنك ستفهم ما أريد قوله بالضبط.. هل كنت أعني ذلك في حينها، أنا لا أتذكر الآن، ولكن الخيار السماوي لم يكن خياراً الروحي دائماً.. هذا ما أنا متأكدة منه الآن.

المهم.. (تَحَجَّبَت) وبدأت حملتي الايمانية الخاصة، تزامنا مع العامة، أقصد حملة الدولة، باصرار، وأنا أحاول بأقصى طاقتي أن أحقق مخططي للخلاص من هذا الـ (عوّاد) الذي ابتليت به، ولكنني لم أجد إذناً صاغية عند أحد.. بل أن الحقيقة هي أن الرياح بدأت تهبّ عكس ما تشتهيئه سفني ومبادرات الوساطة المعتادة تنهمر.. آه كم أكره الآخرين حين يحشرون أنوفهم فيما لا يعنيهم وهم يتصورون أنفسهم يعملون خيراً!.. أصبح تواتر الضيوف على بيت أهلي بغية اصلاح الأمر كما يدّعون من الأحداث المعتادة حتى اضطررت للرضوخ للمطلب العام بالعودة إلى زوجي، خاصة أن حنيني ولهفتي إلى ولدي الذي حرمني الظالم من رؤيته طوال المدة التي قضيتها عند أهلي، قد أضنياني.

نسيت أن أخبرك يا موت.. مؤخراً بدأت أشعر بأن هناك من يراقبني ويعدّ علي خطاي.. من يكون، لا أعرف.. ولكنه يمكن أن يكلف أحد بفعل ذلك لأنه لم يكفّ يوماً عن الشك بي، ولكنني لن آبه.. ليفعل ما يشاء.. المهم، حين عدت إليه بعد تلك المشكلة الكبرى، فرح بي.. كان ذلك واضحاً عليه رغم تصنعه عدم الاهتمام، وحينها فقط اكتشفت أن خياله لم يسعفه في تصور أن ما حدث مع سرمد يمكن أن يتعدى فكرة أننا تبادلنا البطاقات، أو حتى الرسائل، فحسب.. حب افلاطوني يعني.. يا للمسكين!، ولكن هذا كان ما طيّب خاطري في حينها، وأعاد إلي شجاعتي وثقتي بنفسي وهو ما سمح لي أن أصرّ على مواقفي معه، فقد عدت مع يقين كامل بأن حياتي مع هذا المخلوق لا يمكنها أن تستمر إلى ما لا نهاية، فقد قضى بجنبه الذي عبّر عنه في أول مواجهة مصيرية

له معي على أي أمل في أن تتحسن علاقتنا المتهاوية، يوما.. كنت قد انتهيت منه فهاثيا في داخلي ولكنني لم أكن أعرف كيف يمكن أن أتصرف في قضية ولدي الذي حرمني منه طوال المدة التي قضيتها في بيت أهلي.. لم أكن قادرة على تكرارها، وهكذا أجبرني ولدي على أن أتحمله وإن على مضض.. بعد العودة، عشنا أياما عصيبة تعددت فيها شجاراتنا بسبب رغبته بي.. كان يريدني، ولكنني لم أستسغ أبدا فكرة أن أجدني بين ذراعيه مرة أخرى.. حاول وهدد وغضب.. بل أنه تجرأ على ضربي مرة أو مرتين، ولكنه لم ينل شيئا حتى أسقط في يده، فقرر فجأة أن يعود إلى عمان لكي يهتم بأموال الأسرة كما قال في أول مرة.

آه يا موت، كيف يمكن للبعض أن يكرروا أخطاءهم بهذا الاصرار الغريب؟.. بدأت أتعب كثيرا وأعاني في الكتابة لك يا عزيزي لاضطراري للعودة إلى ما سبق وأن كتبتة مرارا وتكرارا كلما نسيت ما كنت في سبيلي إلى كتابته.. المهم، فبعد تجربته المريعة مع سرمد الذي لم أعرف ما حدث بينهما بسببي وهو صديقه المقرب، عاد وأصرّ على أن يكل أمري إلى واحد من أصدقائه، هذه المرة أيضا!.

سلم (شحمته) هذه المرة إلى صديقه الطبيب لؤي، وذهب.. لؤي الذي نقل إليّ ذات مرة رسالة من سرمد المتوسل لاعادة العلاقات بيننا بعد الزلزال الذي حدث.. تصور يا موت، نقل لي رسالة من سرمد الغبي، فحدس، ومن يومها لم تسقط نظرة الاشتهااء من عينيه كلما رأيته.. حاولت أن أتفاده طبعاً وأنا في خضم (حملي الايمانية) ولكن ذلك كان مستحيلا بسبب قوة

الروابط ما بيننا، فقد كان صديق عوّاد المقرب، ووصيّه علي.. وهو زوج صديقتي.. ملاكي.. الانسانة الأقرب إلى روحي.. سلمى.

بعد سفر (الشفية).. دأب لؤي على محاصرتي كلما حضر صباحا ليوصلني إلى المستشفى على أساس أن زوجي طلب منه أن يرعاني وان لا يجعلني محتاجة إلى شيء، كنت أرفض طبعاً، ولكنه لم يكلّ، ولم يتراجع يوماً.. حتى إنه لم يتورّع عن جلب زوجته التي أحبها وأولاده في زيارات مستمرة، فقط ليراني وليوصل اشاراته المتواصلة إليّ.

أتعرف يا موت كم أضحك على أفكار الناس الذين يتصورون أن الزانية تستيقظ صباحاً فتقول لنفسها "أشعر بالملل.. اليوم سأزني".. يتصورونها كتلة من خطيئة اتخذت شكل امرأة.. لا.. لا، أنا لا أقصد أنني زانية، ولكنني أزعم أنني أفهم نفسيّتها ولكن.. ألسنت زانية؟!.. آه يا موت أنا أحبك لأنني أشعر بعدم الحاجة لتسويغ شيء لك.. أنا لا أعرف لِمَ لا يتوقعون أن الزنا يأتي نتيجة لأشياء يومية معتادة أحياناً.. أو يأتي فجأة.. أو يحدث والمرأة لا تتوقعه.. متى يفهمون أن كيميائية المرأة تختلف عن فيزيائية الرجل؟! ولذلك تراها لا تغتصب الرجل كما يفعل هو معها.

حاصرني، ولكنني صمدت لأسابيع طوال، حتى كان يوم وجدته بانتظاري عند باب المستشفى عندما خرجت بعد انتهاء الدوام.. قال أن سلمى قد ألحّت عليه أن يمر عليّ ليأخذني معه إلى بيتهم لأتناول طعام الغداء معهم.. لم أشك به، ولكننا حين وصلنا إلى بيتهم لم نجدّها هناك، فقال لي أنّها قد ذهبت إلى بيت أختها

لشأن خاص بها، وستعود قريباً.. لم أشك به مرة أخرى لأن أولاده كانوا يلعبون في الطابق الثاني.. وضعت ولدي الذي جلبناه سوية من الحصانة في سرير بعدما نام، وذهبت لأغسل وجهي، وأنا على المغسلة، شعرت فجأة بيد قوية تحيط بي، وأخرى تكمم فمي.. حملني وهو يهمس في أذني أن "لا تخافي أرجوك".. حاولت أن أقاوم ولكنه كان أقوى مني بكثير.. لم أستطع أن أرفع صوتي وأنا أفكر بالفضيحة فيما لو رأنا أحد أولاده ونحن على تلك الحالة.. توسلت به أن يتركني بصوت هامس، ولكنه دخل بي إلى غرفة وألقى بي على سرير وسارع إلى قفل الباب بالمفتاح.. توسلت به.. هددته، ولكنه كان قد بدأ طقوس الأغواء التي لم أستطع أن أقاومها طويلاً.. فاستسلمت.

هكذا ترى يا موت أن الرجال الثلاثة الذين عرفتهم قد بدؤوا علاقتهم معي بالاغتصاب، حتى إنني بدأت أؤمن بأن الاغتصاب غريزة عند الرجل.. صحيح أنني وافقت على الاستمرار معهم، الأول لأنه زوجي.. (كوادي) طبعاً.. والآخران لأنهما حققا لي اللذة التي كنت أفقدها، ولكن ذلك لم يكن في حسابي لولا أنهما عبرا بيحنة التجربة الأولى بالاغتصاب، فالخطوة الأولى هي الأصعب دوماً وما يحدث بعدها مجرد تحصيل حاصل.

(هاي شلون شغله ويه النسيان؟.. منا أريد أحجي، ومنا كلساع أنسى شأريد أحجي.. والله تعب، وطگت روحي.. يابه دليله عيش مضوجه نفسي.. يا موت يا ذكريات.. طز بكل شي.. دروحووووووووووووووووووووو.)

ظهرت صفحته الفيسبوكية أمامها، فطالعها وجهه الباسم في صورته التي تتصدرها.. لم تتردد في الضغط على خيار الرسالة ليظهر المستطيل اسفل الزاوية اليسرى للشاشة.. حركت أصبعها سريعا فوق لوح المفاتيح، ولكنه جمد قبل أن يضغط على الحرف الذي أرادت أن تبدأ به كلمتها.. تدوّمت دوائر حرف الهاء وهي تنظر إليها أسيرة حيرتها.. أتضغط أم لا؟!.. ولكنها سرعان ما تجاوزت حيرتها وحزمت أمرها فضغطت على الحروف بسرعة من تعود استخدام ذلك اللوح السحري، فظهرت رسالتها واضحة داخل المستطيل:

- هلو ماهر.

ارتدت لتريح ظهرها على كرسي الحاسبة وهي تدرك أن انتظارها سيطول رغم أنها تأكدت من وجوده من خلال تعليقاته التي قرأها للتو.. أو لعله لن يجيب!.. ولكن لِمَ الاستعجال؟ فلتنتظر وترى، ثم تقرر.. طالت عليها الثواني حتى انقضت دقيقتان أو ثلاث قبل أن يقفز قلبها فجأة حين قرأت تحت رسالتها:

- أهلا هيفاء.

وقبل أن تضغط على أي حرف، عاجلتها رسالة أخرى:

- تفضلي.

تسلل الارتباك إلى يقينها الذي كتبت به رسالتها الأولى، ولم تعد تذكر أي من الجمل التي رتبها في مخيلتها وهي تعدّ سيناريو هذا

الاتصال الذي فكرت به طويلا منذ أن قطعت علاقتها بسهاد..
نقرت بأصابع مرتجفة، فظهرت جملة لها أمامها في مستطيل
الحوار:

- أهلا ماهر كيف أنت؟
- لم يطل انتظارها هذه المرة إذ سرعان ما ظهرت رسالة تقول:
- أنا بخير، ماذا تريد؟
- اشتدّ ارتباكها هذه المرة إذ بانت جملة خشنة جدا بالنسبة لها..
- قررت أن تناور.. نقرت:
- (على كيفك ويانه يا حلو)
- ومتى تذكرت أنني حلو؟!
- لم أنس حتى أتذكر.
- هيفاء!
- ماذا؟
- لا تتذكري أرجوك، أنت تعرفين عمّ أتحدث.
- أنا آسفة.
- حقا أنا آسفة.
- بهذه البساطة؟ أنا آسفة!
- كان ما حدث خارجا عن إرادتي.
- عجب!
- وما وجه العجب؟
- أن تقولي خارجا عن إرادتي!
- فقد تصورتك امرأة ناضجة.
- ومن قال أنني مراهقة؟

- فكتبت على الفور:
- كلك كرم.
 - يا محتالة!
 - ههههههههههههههههههههه.
 - فماذا بعد ذلك؟
 - أن نرجع أصدقاء.
 - قصدت بعد أن نرجع أصدقاء.
 - أليست الصداقات جميلة؟
 - نعم، حين يرافقني صديقي إلى المقاهي، وينادمني عند الشرب ويسهر معي في الملاهي.
 - ولكنني لا أستطيع فعل ذلك!
 - فما فائدة صداقتك إذا؟
 - هناك فوائد أخرى.
 - ما هي؟
 - أنت تعرف.
 - كلا، لا أعرف، عرّفني.
 - لم تعرف بم ترد فوراً، بل احتاجت إلى ثوان طوال قبل أن تحزم أمرها.. تحركت أصابعها بتثاقل على الحروف:
 - أحتاجك.
 - بم تحتاجيني؟
 - أنت تعرف
 - قلت لك، أنا لا أعرف شيئاً.
 - أنقذني.

- كيف؟.. أحتاجين مالا؟
- هههههههههه لا تكن سخيفا ماهر، أية أموال؟
- فما تريدین؟
- أنت تعرف.
- أخبريني.
- أريدك.. سبق وأن تحدثنا بهذا.
- أحتاج إلى تأكيد، قولها.
- حسنا.. أريد رجولتك.
- لماذا؟ أليدك امرأة تريدین مضاجعتها؟
- شعرت برعب هائل حينما قرأت هذه الكلمات، معقول؟!..
- نقرت باصبع مرتجف:
- ماذا تقصد؟
- أنت تعرفين.
- كادت تبكي هذه المرة وهي تفكر "اللعنة، أيمكن أن يعرف؟!"
- ومع ذلك لم تستسلم، قالت أصابعها:
- أعرف ماذا يا ماهر، أرجوك كن واضحاً.
- أمرك عجيب، ألم تقولي أنك تريدین رجولي؟ أريد أن
- أعرف ماذا تريدین أن تفعله بهما، أليس الكلام واضحاً؟
- انحسر رعبها بغتة واطمأن بالها فغردت أصابعها:
- هههههههههه أريد رجولتك لي.
- لماذا؟
- أوووووووووووووووو ماهر لا تكن حقيراً.
- أنا الحقير؟ ساحك الله.

- آسفة ولكنني محرّجة.
- لم يرد هو سريعاً هذه المرة، فتابع:
 - أحتاج إليك ماهر أرجوك.
- لم يطل انتظارها هذه المرة إذ سرعان ما ظهرت كلماته واضحة في ذلك المستطيل الشيطاني:
 - أفهمك جيداً ولكنني لا أثق بك.
 - لماذا لا تثق بي؟
 - أنسيّت ما فعلته في المرة السابقة؟
 - حين تواعدنا.
 - حدثتها فتورطت.
 - كنت غيبة.
 - فما تغير الآن؟
 - حاجتي.
 - ولمَ تحتاجيني وأنت بهذا العمر.. ألم يكفك زوجك؟
 - تلك كل المشكلة يا ماهر.. العمر.
 - كيف؟
 - يطول الشرح وهو صعب أساساً.
 - أخبريني.
 - وأنا شابة لم أفكر يوماً بأن أُلجأ إلى غير زوجي.. بل لم أكن مغرمة بالجنس أساساً.
 - لا يبدو كلاماً منطقياً!
 - هو الحقيقة بغض النظر عن منطقيته.
 - اشرح لي.

- المرأة منا حين تتزوج تكون بلا خبرة البتة، فتظل في بداية حياتها الزوجية مجرد دمية يفرغ فيها زوجها، الذي لا يكون أفضل خبرة منها بكثير، ولكنه مجرب على الأغلب، كل رغباته متى ما شاء من دون أن تفهم من الأمر شيئاً، بل أنا أعرف الكثيرات يكرهن الجنس بسبب ذلك.. تحتاج إلى سنوات حتى تعي ما يحدث، ثم تبدأ بتكوين مفهومها الخاص باللذة معتمدة على تجاربها المستلة من فراشها الزوجي وتكون العملية بطيئة بسبب خجلها واحجامها عن السؤال.

- (على كيفج وياية يعمودة)

- هذا أحسن ما عندي، تقبله مني أو اعتقني.

- حسناً، قولي.

- نستهلك حياتنا ونحن نحاول أن نفهم هذا الأمر الغامض الذي يسمى الجنس، وحين نقترّب من فهمه ونبدأ بالتعرف على ملذاته الحقيقية، يكون شركاؤنا قد قاربوا أو انقضوا، فما هي إلا سنوات قليلة من جنة الفراش حتى يتقاعدوا فنبقى نحن نعاني حتى تنطفئ جذواتنا اضطرارياً.

- لم أفهم شيئاً!

- (يطبّك مرض)

- ما هذا هيفاء؟!

- آسفة، ولكنك تبدو وكأنك لا تريد أن تفهم.

- حسناً، لأقلها لك بطريقة أخرى.. أتريد أم لا؟

- طبعاً أريد، (زوج الي ما يريد)

- حسنا، أنا حاضرة.
 - لااااااااااااااااااااا ليس بهذه السهولة هذه المرة.
 - ماذا تقصد؟
 - أريد ضمانات.
 - ما هذا الذي تقول.. أية ضمانات.
 - أريد أن أرى ما أنا موعود به أولا.
 - وبم أنت موعود؟
 - جسدك أقصد.
 - جسدي!
 - (لعد جسد عمي؟)
 - ولكنك ستراه طبعاً، فقط تدبّر أمر المكان.
 - لا، أريد ضمانات، في المرة السابقة لم ألح فغدرت بي.
 - في تلك المرة أخطأت باخباري صديقتي، في هذه المرة لن أفعل.
 - مع ذلك أريد.
 - أرجوك ماهر.
 - لا.
 - ما الذي تريده بالضبط؟
 - افتحي لي الكاميرا لأراك.
- كانت تعرف أنها منفذة ما يطلبه منها، ولكنها شعرت بغصة لأنها كانت تعرف أيضاً أنه سيبالغ في طلباته، وهي تخشى المفاجآت غير السارة.. ومع ذلك قالت من خلال مفاتيح لوحها:

- حسناً.

ضغطت على الزر المطلوب فظهرت صورة وجهها وهو يحدّق في الشاشة، ولكن ابتسامة أضاءته حين طالعها وجه ماهر فجأة من خلال المربع الصغير الذي ظهر.

ما هذا يا أمي؟! حين ولدتني، وعدتني بدنيا جميلة ورائعة، هذا ما أكدته لي بنفسك مرارا وتكرارا!.. أهذا هو مفهومك عن الدنيا الجميلة؟!.. لم أعهدك جاهلة، فلم لم تنبهيني إلى هذا؟!.. آه يا أمي، لم كذبت عليّ.. وآه يا زمن يا غدار.. لا أعرف كيف أكمل!.. ولكن على كل حال، لم كل هذا الظلم؟!.. أمثلي تصل إلى هذا المصير؟!.. لم يبق شيء لم نفعله أنا ولؤي.. الدكتور لؤي.. أحبته أنا كثيرا، وهو عشقني.. أو لعله لم يفعل، ولكنني لم أهتم لذلك ما دام يشعني ويرضيني.. لقد أحببت جسده الرياضي.. بل عشقت ابداعه في فنون الجنس.. آه تذكرت.. لم يا غدار.. لم أصليتنا بنار.. لم كان عليك أن تجلب لنفسك العار، فتؤذينا ونحن أجهل من الجلنار.. آه لا.. تبدو سيئة جدا.. بل بئسة.. كان يتقصد لبس السراويل القصيرة حين يأتيني بسيارته في الصباحات ليوصلني.. كان يجعلني ألامسه، ويظل يلاعبني وهو يسوق حتى تصطخب شياطيني.. كان رائعا.. محنونا بشكل لا يصدق حتى إنه ترك الرجل يموت وهو يحتضني لأنني شعرت بالخوف حين سمعت حشجة الموت.. كان يصطحبني معه خلال عياداته لمرضاه في بيوتهم.. ولأننا كنا نرجع في الليل معظم هذه الأحيان كنا نستغل الظلمة وغاب القط العب يا فار.. فار.. عار.. نار.. غدار.. جلنار!.. كان جريئا بشكل غير معقول وعلمي المرأة فلم أتورع عن اقتراف كل ما كان يطلبه

مني، ولطالما مارسناه في صالة بيتهم والشور نائم في الغرفة كالكبش.

ذات مرة فكّر أن يضيق لي صاحبي.. أن يعيد إلى عصفوري سحره وشبابه بعد اصابته بضرر نتيجة لولادتي لابني الأول.. أقصد الثاني.. هو طرح علي الفكرة بعد أن طلبت منه النصيحة بشأن أية طيبة نسائية أراجع.. قلت أن زوجي لن يرتضي بأن يقوم طبيب ذكر بذلك، ضحك وقال أنه كفيل باقناعه.. "ألا تعرفين مدى بخله، سأجعله يوافق لأنني لن أتقاضى أجرا".. والغريب أن العملية كانت بمالي أنا لأنه لا مصدر رزق له غير صيدليتي أنا.. فعل لؤي ما أراد.. اللعين!.. المهم أنه نفذها ولكن فحلي خرب له مخططه حين أغار علي بعد أربعة أو خمسة أيام مسببا لي آلاما ونزفا جعلنا لؤي يكيل له كلاما بالغ القسوة في بيتنا.. يا لله كيف بدا وكأنه حمل تائه وقع تحت رحمة ذئب غاضب.. أعاد لؤي الرأب بخيوطه البارعة ونال مبتغاه هذه المرة بأن افتتح مشروعه بنفسه وكان سعيدا جدا به.. وطبعا كنت أنا في قمة النشوة والسعادة.. يا لهذا الليل الذي يأبي أن ينتهي.. لن أذهب.. نعم لن أذهب إلى المستشفى في الصباح وليفعلوا ما يشاؤون.. (أجلبنك يا ويلي يا ويلي اضنعش تجليسة.. هجع)

(تمام الناس الليل وآنه ولا أدري به.. هجع..)

(هجع).. وجع.. فزع.. فجع.. صرع.. (اي والله صرع)..
ما الذي يجري لي؟!.. يجب أن أركز وأنا أخاطب سيدي الموت..
آسفة، فعلنا أنا ولؤي أشياء كثيرة.. كثيرة جداً، وكنت سعيدة به،

ولكن هذا لم يكن بلا ثمن.. طبعاً يكون هناك ثمن دائماً، ولكن اللذة القصوى كانت تجعله ثمناً مقبولاً.. قال لي مستحيل.. لا أقبل ذلك.. ستأذنين، ولكنني أصررت ففعلناها في الصالة وهو نائم في الغرفة المجاورة وأولاد لؤي نائمين في الطابق الثاني وزوجته غائبة.. آه يا سلمى كيف فعلت بك كل ذلك؟.. ولكننا فعلناها ولم تكن تلك المرة الأولى التي نفعلها، ولكننا فعلناها.. تأذيت طبعاً، ولكنني شعرت بلذة وحشية في النهاية بسبب متعة الانتقام.. كيف يجروء ابن الكلب على طلب ذلك مني وأنا زوجته.. ما الذي فكر به؟!.. هل تمكنت منه الشهوة؟ فهل أنا دمية شهواته؟.. كان أدأؤه جيداً في تلك الليلة.. بالحقيقة كان أدأؤه جيداً دائماً والسبب كما قال لي لؤي أن الاداء المتميز المستمر يحتاج إلى رجل بلا مشاعر.. بلا هموم.. يحتاج إلى حيوان ولذلك تتناسل الحيوانات جيداً دائماً لأنها لا تهتم لما يحدث من حولها.. ولا تقيم وزناً لمشاعر شريكاتها.. ولكن أصبح أنها لا تقيم وزناً لتلك المشاعر؟!.. أنا غير متأكدة، ولكن لم يبد عليه يوماً أنه كان يقيم وزناً لمشاعري كلما (بطحني) على الفراش.. آه يا موت، لِمَ أخذت أبي مني، فأنا بحاجة إليه جداً الآن.. بل أنت أخذتكما سوية.. أبي وأمي.. لِمَ فعلت ذلك؟.. (غريبة من بعد عینج یا یمة).. لِمَ يا موت تفعل هذا بي وأنا لم أؤذي أحداً.. لا لا، أبي فقط هو من أشقاق إليه، لأنني لن اسامح أُمي على ما فعلته بي.. معك أنا لا أحتاج إلى أقبعة، ولذلك نعم حسناً فعلت لأنك أخذتكما.. لِمَ فعلت ذلك بي؟.. لِمَ جعلت عالمي ينهار بكل تلك القسوة؟!.. ولكنه كان أخي.. كان أخي يا موت! آه، لا أعرف كيف أفكر.. لا أعرف

كيف أشعر، فقط أنا لا أشعر بالهدوء الآن.. اشعر وكأن بركانا
يحتدم في داخلي، ولكن لم يحدث هذا لي؟.. أنا أردت فقط أن
أعيش حياتي بسلام، ولكن هيهات فلا سلام ولا أمان لهذه الدنيا..
كان أدائه ممتازاً في تلك الليلة.. ولطالما كان كذلك ما دمت
مغمضة عيني وأنا أفكر بلؤي.. ولكنه توقف فجأة وطلب مني
بصوت جعله الانفعال أجشاً، أن أغير وضعيتي.. كان أمراً طبيعياً
أن يطلب مني ذلك ما أن يملكه الحماس في أثناء الجماع، ولم أكن
لأعترض لأنني أنا الأخرى أحب تغيير الأوضاع منعاً للملل،
ولكنني ما أن فتحت عيني حتى لاحظت الارتباك الذي يظهر على
وجهه عندما يطلب مني ما قد يثير غضبي.. ساورني شك
فتساءلت "لماذا؟".. إزداد ارتبাকে.. حاول أن يراوغ ولكنه اضطر
لأن يخبرني بما يريد تحت ضغط الحاحي.. آه يا موت ليتك تعرف
ما شعرت به في تلك اللحظات.. أيمكن أن تبلغ به الحقارة أن
يطلب مني ذلك الشيء.. ابن التي لا صامت ولا صلت، بل
قضت حياتها في العهر.. ابن المسخة.. ابن الوسخة.. ابن
المتفسخة.. يريد أن.. يا للحقير! كيف يجروء؟!.. تسربت اللذة من
خلايا جسدي، وجفت الشهوات ففقدت الرغبة بالمواصلة وطلبت
منه أن يتعد عني.. توسل، فأبيت.. غضب وصاح، فصحت
بصوت أعلى، وعندما حاول أن يستخدم القوة دفعته بقوة
واشتمزاز وأنا أصيح:

- إياك أن تفكر.. مجرد تفكير أيها النذل.

احتلت وجهه امارات المفاجأة، وبانت عليه ملامح الخوف
للحظات، ولكنه سرعان ما استعاد توازنه، وراح يعربد و(يلوّص)

حتى كانت مفاجأته الكبرى حين هددني بأن يوصل الأمر إلى أهلي.. تصور يا حيّان، يطلب مني ذلك ويهددني بأهلي!.. ابن الرعناء!.. أرايت إنساناً أتفه من هذا الرجل؟!.. حاشا الرجال منه.. ضحكت يومها كما لم أضحك من قبل أبداً.. تمرغت في الفراش عارية، وأنا أضحك.. آه يا موت، أنا لا أعرف متى نكون على حق في مواقفنا، ومتى نستغل المسوغات لنمعن في أنانياتنا بحثاً عن أهوائنا، أو أن نتمتع بلذة الانتقام.. بدا عليه لحظتها وكأنه استمرأ استعداد أهلي عليّ، ولكنه كان على خطأ فاضح هذه المرة.. صحت:

- أرجوك إفعل.. هيا لنذهب إليهم على الفور.
ظهر البله واضحاً على وجهه، ولم يد عليه أنه يفهم ما أقول.. قلت مواصلة هجومي:
- أرجوك.. هيا.. والله لأفضحك.. سأقول لهم ما تريده مني.. (وداعتك) لن أتردد، بل سأخبرهم كما سأخبر أهلك.. بل سأخبر حتى أصدقائك.
احمرّ وجهه من شدة انفعاله، ورفع يده ليضربني.. صحت:

- هيا اضرب.. اضربني وأعني على ترددي.. اضرب لو كنت رجلاً.
ولكنه لم يشأ أن يكون رجلاً، بل ابتعد عني وهو عارٍ ويدمدم بغضب.

آه يا لؤي، ذهبت، ولكنك ما زلت في الوجدان.. وأنا أبحث عن السلوان.. أنت تغريني بالذي كان، ولكن تباً لنهش العقبان

وحفلات الديدان.. ترى كيف تطايرت الغربان، وتسلسل ابن آوى كالجبان، كما يجدر بالخصيان؟.. نعم مطمئناً حبيبي فبعدك لم يبق لي فرسان!

حاولت ان أتناسى الأمر، ولكنني لم أستطع.. بل.. هل فكرت فعلاً بتناسي الأمر؟!.. لم أعد أتذكر، ولكنه لم يبد لي منطقياً عندما كتبته.. لا أعرف، لعلني فكرت، أو رفضت حتى أن أفكر، ولكن كان أول شيء فعلته عندما استيقظت في الصباح التالي هو الاتصال باخته.. صديقتي وشريكتي في رأيي السيء به.. تصور يا موت، أخته!.. شقيقته.. كانت أمينة سري عندما أريد أن أهجوه.. أن اخفف عن نفسي بغضائه، بالبوح.. أخبرتها بما حدث.. يا لله لِمَ لَمْ أَخاطب حياناً بدلا عن لؤي، فهو الذي أحبه بالفعل.. والأهم هو أن اسمه يلائم القافية أكثر!.. غربان.. خصيان.. عقبان.. ديدان.. حيان.. أوه، سأعيد النظر في الأمر بوقت آخر.. ولكن، أيستحق اسم حيان أن يقرن بهذه الأشياء المرفقة؟.. طبعاً لا.. ولكن!.. أيستحق لؤي ذلك؟!.. لا، سأفكر بالأمر في وقت آخر.. أخبرت أخته بما حدث، فبدأت تبكي وهي تعتذر مني.. أواه يا صديقتي لكم تمنيت لحظتها أن احتضنها لأمسح دموعها التي سفحت لذنب لم تقترفه.. أن أشدها إلى صدري حتى تذوب فيه.. كيف يمكن لمثل هذا الملاك أن يكون أختاً لذلك القميء؟!.. أقلقتها وأحزنتها فشعرت بتأنيب الضمير، ولذلك قررت أن أتناسى الأمر من أجلها، ولكن هيهات، فسرعان ما أدركت أنني قد أقلقت راحة تلك المخلوقة العزيزة من أجل لا شيء لأن الرغبة بالانتقام لم تزايلني حتى تهيأت لي الفرصة عندما

واتتني الفكرة يوم قال لي لؤي حين كنت معه في سيارته أنه
يشتهيني جدا، فقلت له على الفور:

– (الله وإيدك)

وحين دبر الأمر، وهياً الظروف، فاجأته بطلبي، فرفض..
ألححت، فقال إن الأمر سيؤذي.. أصررت، ففعل والنذل يأخذ
قيلولته الغالية في الغرفة المجاورة!.

جَمَّارَه فَوَّاد

شَلُونَكْ عَواد



اهلا جماره

اشو مختفي



وينك



ملتهي والله

بشنو



ببلوتي غير

خير انشالله اشو بلوه



مشاكل يا جماره

مو كلتلج

ماساه والله

شنو احجيلي



مو حجيتلج يا عيني

شحجيتلي



شوكت



مرتي يعمودة

والله حياتي دمار

شكو



كولي



كلتلج مرتي

شبيهه



مطينه عيشتي

يعني شكو



شلون



مو كلتلج مطينه عيشتي

مصخمه حياتي

بعد شتريديني اكل

اي فتهمت



بس شلون



والله ماعرف شكولج يا جماره

مريضه

مريضه كلش

هاي شبيك



مريضه



لو تسوي مشاكل



هي كل مشاكل من مرضه

مافهمت



مريضه نفسيا

الا اكولج هيچ

يا



خطيه



بس شلون



مريضه نفسيا

يعني تتوهم اشياء ما الهه وجود

وصايره كلش خطيره

تعرفين

نوبات اخاف انام وهي كاعده

ما انام الا وره ما تنام

يا



حرام هيچ



وامرنه لالله

لا تخلي بالي عواد

فهمني

يعني شنو الي ديصير

ما اعرف

تتخيل اشياء

وتحجي اشياء غريبة

لا والنوب تحجي كله سجع

سجع النوب شنو

يعني تحجي بالقافيه

هم ما فهمت

اهووووو لا توضوحيني جماره

اني بيا حال

ما يخالف

بس ليش

يعني شنو ليش

هي هيچ تتصرف

لعد هو شنو المرض النفسي

ادري بكيفك دتجحي



لو هاذا حجي طيب



لا طبعاً

وديناهه لطيب وهو اكد انه

زين



وانطاهه دوه



انطاهه

بس هي عنوديه

ما تقبل تاخذ الدوه

الا بالتواسيل

خطيه



ليش صار بيهه هيحجي



هاي شمسويلهه



يعني شمسويله انتي الخ

والله احبهه واداريه

بس مريضه

يعني شمسويله

اي ادري



بس ليش اتمرضت



حظي غير

هو هاذا الي ياخذ وحده مو من ثوبه

يعني شجابيني على هل بت الفكر

اكولك



شنو

اخاف ضايجه من البيت



وشغل البيت



يا شغل البيت يعموده

هي وين لافيه بالبيت

لعد شلون



وين تولي



هي صيدلانيه

عدهه وضيغه

وصيدليه

هاي شنو



اشو ما كايالي



ما اعرف

ما صارت مناسبه

افتهمت

بس والله غريبه

شتريد هاذي

والله مادري يا جماره

هي هم حظوظ

اكولك اخاف عاشكتلهه واحد

احترمي نفسج جماره

شنو كواويد احنا

آسفه عيني لا تحنفس عليه

عل عموم الله يساعدك

اشكرج

المهم

شنو

شوكة نلتقي

بكيفك

والله انقهرت عليك

اي عفيه انقهرى عليه

موتي يا موتي العزيز.. فكرت طويلا بكيف أصف لك ما مررت به طوال الأسابيع التي مضت، ولكنني لم أتوصل إلى شيء يمكنني أن أقوله لك.. كانت حالة غريبة ليس من السهل وصفها، فقد استمر عقلي يعمل بأقصى طاقاته، وبأشد ما يمكنه من وضوح، ولكن من حولي ألحوا على أنني إنما أعاني من أوهام!.. حتى أولادي أصرّوا على ذلك.. ولكنني أعرف لِمَ فعلوا ذلك، فقد تأثروا بمزاعم أبيهم الذي ملأ الدنيا صراخا واعتراضات.. أثر بهم بالتأكيد وكانوا تحت تأثير خشيتهم عليّ ولذلك قالوا ما قالوه، وقد آلني ذلك كثيرا، ولذلك رددت إليه الصاع صاعين وقلبت حياته جحيما حتى بات يتحاشاني حين يرايني.. (ابن الكاولية) هذا.. أصرّ على أن أراجع الأطباء، ولكنني رفضت بعناد، ولولا حيّان لما وافقت في النهاية.. زارني في المستشفى، وهي المرة الأولى التي يفعل فيها ذلك.. هم رفضوا في تلك الأيام أن يدعوني أزاول عملي، وطالبوني بأن آخذ اجازة للراحة، ولكنني رفضت لأنني لم أكن بحاجة إليها، وفي ذلك اليوم كنت لوحدي في الغرفة فوجدته فجأة أمامي.. حيّان بكل فنتته وحضوره الساحر أمامي.. كنت لأرتمي في حضنه لولا أنني أعرف أنه سيرفض ذلك، ولكن روحي (فرفت) عندما رأيته وشعرت بسعادة بالغة.. يبدو أن زوجي قد أخبره عن أوهامه بشأنني فأتى ليطمئن عليّ.. طبعاً شتمته أمامه ولكنه لم يدعني استرسل، بل طلب مني أن أراجع طبيبا فوافقت..

وافقت من أجله فقط لكي يطمئن.. هو حيّان يا موت.. حبيبي
حيّان، حتى أنني وافقت على البدء بتناول الدواء الذي وصفه لي
الطبيب، رغم أنني سرعان ما توقفت لأنني على يقين من أنني لا
أحتاج إلى أي دواء.

كان لؤي قد أصبح محور حياتي منذ أن تعرفت عليه..
أقصد منذ أن حدث بيننا ما حدث، وتساقطت الحدود.. في
العلاقات الانسانية المشتركة، يؤثث اثنان حلما ليعيشا به سوية،
ولكن هذا لم يكن متاحا لنا أنا ولؤي.. كان مستحيلا لأن دروبنا
افترقت منذ البداية، ولذلك أجّرنا لنفسينا حلما.. حلما فندقيا
نعيش فيه ما نسرقه من أوقات مخصصة لآخرين يرتبطون بنا.. أنا
لا اشرعن ما فعلت، ولكنني لو لم أفعل ذلك لجننت.. أو لعلي
كنت قد مت.. كان إنسانا رائعا بكل معنى الكلمة، بالنسبة لي في
الأقل، وقضيت معه وقتاً مذهلاً، عرّفتني خلاله على كل أسرار
اللذة التي كان يبلغني في كل مرة، أقصاها.. استمرت تلك العلاقة
الرائعة لسنوات طوال، رغم أن لقاءاتنا تباعدت في سنواتها
الأخيرة، استمرت لأنه كان ذكياً وجديراً بأن يحافظ على
سريتها.. نعم، هو من حافظ على السرية لأنني كنت جدية بأن
أكشفها بنزقي وقلة صبري.. ألم تكتشفني أُمي في بداية مغامرتي
الأولى؟، بالمناسبة، أنا لا أعرف إن كانت الفضيحة تتم بسبب قلة
الحيلة، أم بسبب سوء الحظ.. أهى هذا أم تلك.. أم أنها مزيج من
الاثنتين؟!.. مهما كانت الحقيقة، فقد استمرت علاقتي بلؤي طويلا
جدا، ولكن لا بد من نهاية دوما وتعرف ذلك يا صديقي لأنك
سيد النهايات.

أتت النهاية فاجعة.. فاجعة بكل ما للكلمة من معنى لأنه قتل.. هكذا، وفجأة، قتل كما قتل الآلاف من العراقيين غيره في تلك السنوات المجنونة التي استيقظت فيها شهوة الرجال فأقاموا مهرجانات اغتصاب.. اغتصبوا رفاهيتنا، اغتصبوا سعادتنا، اغتصبوا حياتنا.. اغتصبونا.. لا ليس ذلك الاغتصاب.. ليتنه كان، ففي الأقل يمكن أن يكون فيه لحظات لذة.. كما أتصور، أما اغتصابهم فكان بالغ القسوة.. وحشيا بامتياز.. عذرا يا موت ولكنني أفترض بأن المتحكمين بخيوط اللعبة لو كانوا نساء لما شهدنا كل ذلك الاغتصاب، لأن الاغتصاب شأن رجولي بحت لا مكان له في سيكولوجية المرأة.. على كل حال ما أقوله شيء افتراضي ولا دليل عليه، المهم أنهم قتلوا عشيقتي.. دخلوا عليه ذات مساء في عيادته، وقتلوه.. اغتصبوه برصاصاتهم التي ثقبوا بها أنحاء جسده.. مزقوه بدم بارد وغادروا تحت أنظار الآخرين المرعوبين.. من هم؟.. لا أحد يعرف فهم مجهولون دائما.. لماذا قتلوه؟.. لم يستطع أحد أن يخمن.. نفذوا المهمة بنجاح ساحق ورحلوا.. تلقيت أنا خبر مقتله بتجريد قاس.. بالغ القسوة.. قُتل لؤي، هكذا وصلني الخبر.. بهذه البرودة الصادمة فاهمات الدنيا من حولي، ولم أعد أعبأ بشيء.. تركت بيتي فورا.. تركت أولادي لأبيهم وهرعت إلى (العزه) الذي أقيم له في بيته.. في عش غرامياتنا الملتهبة فكانت الذكريات اسياخ حامية توغل في جلدي وأنا أذرف الدموع مدرارا.. لازمت سلمى ولم أتركها لحظة واحدة طوال أسبوع.. بكيت أكثر منها، ونحت أضعافها.. قلت لك أنني لم أكن أعبأ بشيء أيامها، ولكن المذهل هو أن هذا جعلني مضربا للأمثال في الوفاء، حتى أن أقارب الميت بدؤوا

يعزوني بالضبط كما كانوا يقدمون التعازي لسلمي لأن خيالهم المسكين لم يدعهم يخمنوا السبب الحقيقي لكل ذلك النواح.. وسلمي، أذهلها (الوفاء) الذي عبرت عنه أيامها، ومن حينها أنا صديقتها الأولى والمفضلة!.

كان رحيل لؤي ايذانا بعودتي إلى بيتي.. أقصد إلى زوجي الذي عاد من رحلته الأخيرة إلى عمان خالي الوفاض.. خالي الوفاض بمعنى الكلمة بعد أن خسر كل أموال العائلة في عملية خداع تعرض لها بعد أن أوهمته أطماعه أنه يستطيع أن يضاعف تلك الأموال.. ضاعت ثروة العائلة، ولولا أملاكها العقارية في بغداد لأصبحت في عداد العوائل الفقيرة.. (رجع ابن الكعبة ايد من ورة وايد من گدام).. رجع لتصبح الصيدلية.. صيدليتي، قبله أطماعه لأنها أمله الوحيد في أن يكون عنده الأموال التي يعبدها، لا لينفقها، بل ليشعر بوجودها فقط!.. لم أعد أتذكر الآن كيف تدبرنا أمورنا، ولكن رغم الشجارات المستمرة إلا أننا استمررنا سوية في اتفاق غير معلن.. أنا حفاظا على الوجه الاجتماعي، وهو حفاظا على مصدر الأموال التي يحتاجها.. طبعاً منحني الوضع الجديد كل الحرية التي أحتاجها، ولكنني لم أحظ بعشيق آخر بعد لؤي أبدا.. أو حتى الآن في الأقل، لا لأنني ترفعت عن ذلك، بل لأن الحظ لم يشأ. آسفة يا موت لأنني لا أستطيع أن أستمّر أكثر.. هذا كل ما عندي اليوم، ولكنني سأحدثك عن المزيد في الأيام القادمة.. سأحدثك عن رؤاي وأحلامي.. سأحدثك عن همومي وخباياي، فأنت أفضل صديق حظيت به طوال حياتي.. آه، سأحدثك أيضا عن حيان.. حبيبي الذي لن أمل يوما من الحديث عنه.

راق لها مظهرها حين دخلت عليها في الصيدلية في تلك الساعة التي يندر فيها الزبائن.. بدت لها فتاة أنيقة بينطالها الجينز وحذائها الرياضي الأنيق.. كانت جميلة وزادها جمالا، لون (تي شيرتها) الملائم للون بشرتها جدا.. كانت تجلس وراء منضدتها، فراحت تراقبها وهي تتقدم إليها وقد ارتسمت على شفيتها ابتسامة رائعة، وحين توقفت، ألقت عليها تحية القريب الحبيب لا المجهول الغريب، فتملكها العجب، ولكنها ردّت بأقصى ما تستطيع من أدب مع ابتسامة صادقة كمكافأة.. انتظرت أن تعلن حاجتها، ولكن علامات التعجب ظهرت على وجه الفتاة وهي تقول:

- أرجوك يا خالة لا تقولي أنك لم تعرفيني!

لم تتعود أن يخاطبها الزبائن بهذه الطريقة، ومع ذلك ارتسمت ابتسامة حرج على شفيتها عوضا عن الاجابة بالسلب، فيما كانت الفتاة تكمل جملتها قائلة:

- كانت ابتسامتك هي النور الوحيد في الظلمة التي كنت فيها.

لم تستطع أن تفهم قصد الفتاة التي أضافت فورا:

- لقد أنقذتني.

زادها هذا القول حيرة، فقالت متلعثمة:

- هلا عرفتني بنفسك يا ابنتي!

فقال الفتاة بصوت خافت:

- أنا شعاع.
- انتبهت هي إلى أن نبرات صوت الفتاة تكاد تفصح عن الخيبة،
فقالت مزامحة في محاولة للتخفيف عنها:
- وما مصدرك؟.
- فضحكت الفتاة لقولها وبدأ أن هذا قد ساعدها في تخطي
خبيثتها لأنها قالت مندفعة:
- لقد أتينا قبل مدة أنا وزوجي لشراء بعض الأدوية منك..
كنت في أسوأ حال في حينها، ولكنني لاحظت الاهتمام
بي في عينيك، وكانت ابتسامتك المتعاطفة أجمل هدية
حظيت بها في حلقة أيامي تلك.
- قالت هديل بصوت لم تحرص على اخفاء نبرة الاستغراب
فيه:
- أنت متزوجة؟!
- فضحكت شعاع وقالت:
- أعرف أن ذلك لا يبدو علي، ولكن تلك هي الحقيقة.
- وكم يبلغ عمر زوجك.. سبعة عشر؟!
- ضحكت الفتاة مرة أخرى وقالت:
- بل يبدو عليه وكأنه أبي.
- عندها فقط استردت ذاكرتها صورة كانت مركونة في إحدى
زواياها.. قالت:
- آه.. تذكرت.. تذكرت فعلاً.. نعم تصوره أباك.
- فبان الفرح على وجه الفتاة وقالت:
- الحمد لله.

- وهل أتيتني في طلب المزيد من الأدوية.. لا يبدو عليك أنك
تحتاجينها؟!

فقلت شعاع وهي تبتسم:

- لم أعد بحاجة إليها.. أتيت لأشكرك فقط.

- تشكريني.. علام؟!

- آه يا خالة، أنت لا تتصورين مدى الأثر الهائل الذي تركته
ابتسامتك في نفسي.

- كل هذا فعلته ابتسامه؟!

- أكثر مما تتصورين.. لقد أنقذت حياتي.

- عجيب!

- لا عجب.. فقط هذا هو ما حدث.

انتبهت إلى أن الفتاة لا تزال واقفة، فطلبت منها أن تجلس،
فظهر الفرح جلياً على وجهها وسارعت إلى الجلوس.. قالت هي
مشجعة:

- قصّي عليّ.

- ماذا؟!

- قصتك طبعاً.

- آه يا سيدتي، قصتي محزنة.

فقلت وموجة حنان تجتاح نفسها:

- شاركيني بها، أنا مستعدة لسماعك.

غادرت الابتسامة، الوجه الجميل، وزحفت امارات الشرود
عليه.. قالت:

- ليس عندي الكثير لأقوله.

- فابتسمت لها وقالت:
- أخبريني بالقليل الذي عندك.
 - لم تكن حياتي سعيدة
 - فضحكت هي وقالت:
 - حاولي أن تخبريني بشيء جديد.
 - فضحكت شعاع هي الأخرى وقالت:
 - (كلنا في الهوى سوى.. مو)
 - نظرت إليها مبتسمة وقالت:
 - أتعرفين.. طوال عمري كنت أتمنى أن يكون عندي بنت
 - لأدعوها شعاع.
 - بانت السعادة على محيا الفتاة وقالت:
 - صحيح حالة؟
 - صحيح يا عيون حالة.. لقد فاجأتني تماما حين أخبرتني أنه
 - اسمك.
 - ابتسمت شعاع فيما واصلت هي قائلة:
 - كنت لأريها أحسن تربية.. كنت لأعوض فيها كل ما
 - افتقدت له في حياتي.
 - اعتبريني ابنتك
 - أنت ابنتي.. ولكنني أقصد أن تكون حياة امرأة متعلقة
 - بي.. كنت لحاربت المجتمع بأكمله من أجلها.
 - بان على وجه شعاع ظل من الم وقالت:
 - يا ربي، لِمَ لَمْ تكوني أُمي.
 - فشعرت بغصة حين سمعت ذلك.. تساءلت بصوت حزين:

- وأين أُمك.
 - موجودة، ولكنها لم تهتم لي.
 - كيف لم تهتم بك؟
 - زوجتي لأول طارق.
 - لِمَ؟
 - للسبب إياه.. لأنه يمتلك كلمة السر.. المال.
- طرقت الدموع أبواب عينيها حين سمعت ذلك، ولكن شعاع
واصلت:
- كنت في الجامعة.. صحيح أن ظروفى هناك لم تكن سهلة،
 - فقد كان أهلى فقراء، ولكن كان بإمكانى الاستمرار،
 - خطبني فوافقوا.
 - لِمَ لم ترفضى.
 - رفضت، ولكن من يمكن أن يسمعني؟
- حركت رأسها موافقة على ما قالته شعاع التي استمرت
بالحديث:
- قالوا لي أنهم فرضوا عليه أن أكمل دراستي، فوافق.
 - نظرت إليها وقد بانت ابتسامة حزينة على شفيتها
 - وأكملت:
 - ولكنه نكل.
- فجأة رأت حيّان واقفاً في الزاوية البعيدة وهو يبتسم لها.. لم
تشعر به حين دخل!.. أرادت أن تنبه شعاع التي لم تنتبه هي الأخرى
إلى دخوله، ولكنها خشيت أن تسكت فقررت أن تتابعها بصمت
وهي تقول:

- رغم ذلك، فقد عشت معه سنتين لا بأس بهما بعد الزواج.. ولكن يبدو أنه حتى هذا كان أكثر من استحقاقي، إذ سرعان ما بدأت الأمور تتغير.. عاد إلى سيرته الأولى، فقد ظهر أنه كان مدمن علاقات نسائية كما كان مدمن خمر.. يبدو أن دميته التي تزوجها قد ألهته عن أهوائه حتى ملّ منها، فعاد.

كانت هديل تفكر في حيّان الذي حضر ولذلك عجزت قليلا عن التواصل شعاع فيما قالته.. تساءلت فجأة:

- من الذي تزوج دمية؟!

نظرت إليها شعاع بتمعن قبل أن ترد قائلة:

- زوجي.. فقد أهملني فجأة بعد سنتين.. عرّفني على جسدي وجعلني ألهب به رجولته وإن عجزت عن استغلال جسده لمنعتي.. أنا لا أعرف لِمَ يهولون أمر الجنس في الزواج، فهو لم يكن إلا خيبة أمل متكررة.. في كل مرة تعديني البداية بشيء سحري، ولكنها سرعان ما تنتهي إلى خيبة!.. ولكنه بدا وكأنه خبير بآلة موسيقية ويعرف كيف يجعلها تصدر ما يريده من ألحان.. كنت آلتة التي أطربته لبعض الوقت وفجأة أهملني، ولم يعد يبدو عليه وكأنه يشتهيني!.

شعرت بالخجل من سؤالها، فانتابها دوار وهي تحاول أن تركز مع شعاع في حديثها.. كانت تتحدث عن معاناة أغلبية العراقيات حسب رأيها.. الاهتمام، الملل، الابتعاد، الهجر، الانتظار، النوم خلال الانتظارات.. فكرت مع نفسها.. "أليس طبيعيا أن تصل المرأة عندنا إلى حدود الجنون بسبب ظروفها؟!" فاجابت فوراً، نعم، فذلك أكثر

من طبيعي، وحينها انبجس سؤال من اعماق لا شعورها.. سؤال
لطالما حاولت أن لا تواجهه.. تتجاهله، ولكنه ظهر.. ماذا لو؟!..
شعرت برعب.. رعب شديد.. أيعقل أن تكون؟!.. لِمَ لا؟!.. ما
المانع؟!.. زاد رعبها حتى إنها نسيت هزات رأسها التي كانت بها
تتابع حديث شعاع المستمر.. التفتت إلى حيث كان حيّان،
مستنجدة، فإذا به قد اختفى!.. عجبت لمقدرته على التسلل..
تساءلت "لِمَ أتى ولم ذهب؟!.." أعانها سؤالها على التحرر من اللجة
التي وجدت نفسها فيها.. طفت قليلا باتجاه السطح، فلاحظت أن
شعاع ساكنة وهي تتطلع إليها.. ابتسمت لها بوهن، وقالت محرجة:
- صدقيني يا شعاع، أعرف كل الذي قلته، وصدقيني إن قلت
لك أنك ستجاوزين كل مصاعبك في النهاية.. فقط كوني
قوية.

ثم أعقبت قولها بالنهوض.. نهضت هي معها وقالت:

- أمستعجلة أنتِ؟

أشعرتها ابتسامة شعاع أنها قد نجحت في ابعاد قهمة عدم
الاهتمام عن نفسها.. قالت الفتاة وقد بانت على محياها السعادة
الحقيقية:

- أنا مسرورة جدا لأنني أتيت.

- سأزورك دائما يا خالة.

فقلت من أعماق قلبها:

- أرجوك.

حين تحركت شعاع لتغادر، سارعت هي إلى الالتفاف حول
منضدتها لتحضن شعاع وتقبلها وتقول وهي تغالب دموعها:

- سأكون لك أمّاً
- فقلت شعاع وهي تبادلها القبلات:
- أعرف.
- رافقتها بنظراتها وهي تغادر الصيدلية بصمت.. ثم أطلقت
- لعبراتها العنان.

آه يا موت.. كيف يمكن للأقدار أن تتلاعب بنا هكذا؟..
كيف يمكن لها أن تفاجئنا مرات ومرات ومرات، فكلما تصورنا
أننا قد عرفنا كل شيء ببلوغنا مرتبة عليا من الخبرة والمعرفة،
تعيدنا أطفالاً صغاراً خائفين!.. أتعرف، لو أن أحداً قال لي أن لكل
ما يحدث في حياتنا هدفاً، وأن لقائي بشعاع سيجعلني أعرف
حقيقة مشاعر عواد، لضحكت عليه، فهناك الكثير من الحشو في
تفاصيل حيواتنا.. ولكن لا.. لا حشو في التفاصيل ولكل ما يحدث
مغزى.. هكذا بدأت أفكر!.. أوجعتني شعاع وهزت عالمي حين
اخترقته.. لم أستطع أن أنتزعها من بالي منذ أن فارقني في ذلك
اليوم.. كيف يمكن للقدر أن يكون بهذه القسوة مع فتاة بهذه
الروعة؟!.. لم أستطع أن أجِد إجابة لهذا السؤال رغم إمعاني في
التفكير فراحت معنوياتي تتدهور.. فجأة أصبحت شعاع هي المرأة
في مجتمعنا فتراكمت علي هموم النساء، وهي كبيرة جداً.. كنت
لأتحمل ذلك الضغط النفسي الهائل لو كان حيان موجوداً، ولكنه
اختفى فجأة!.. أين ذهب؟.. لا أعرف.. ولكن آخر مرة رأيته
فيها كانت حين تبادلتي الحديث مع شعاع، ثم خرجت واختفى
هو!.. شعرت بنفسي وحيدة وأنا أحاول أن أجِد السبل الكفيلة
بمساعدة هذه البائسة حتى أنني فكرت أن أفتح لها بيتي لكي أبسط
عليها حمايتي، ولكنني لم أستطع أن أثبت على رأي، فكلما سعدت
بحل أرتضيه، يفسد المنطق علي حلاوته وتعبث براحتي الأسئلة..

وهكذا بقيت تائهة ما بين حلاوة الأمل ومرارة اليأس حتى تدهورت صحتي وسقطت صريعة حمى ألزمتني الفراش لأيام.. لقد تجاوزت الأمر الآن، ولكن مرضي ذاك أسلمني لمفاجأة أذهلتني يا موت، فقد استيقظت ذات يوم من غفوة كالإغماءة فألفيته جالسا عند رأسي يبكي.. يبكي يا موت!.. ذهلت ولم أصدق عيني.. لماذا يبكي؟.. ما له ولي.. ولكنه كان يبكي بلوعة.. يبكي علي.. أهذا يعني أنه يحبني؟.. بدا لي لحظتها أنه يحبني بالفعل.. يحبني بالتأكيد، فما الذي فاتني ملاحظته يا موت؟!.. أنا لم أضع هذا الاحتمال يوما في بالي.. افترضت أنه لا يحبني فتمتعت باحتقاره، ولكن تلك الدموع تعني أنه يحبني!.. رباه، كيف لم أنتبه لهذا الاحتمال؟!.. لقد حدثتك طوال الأشهر التي مضت، وكنت أناجيك طوال عمري، فلمَ لمْ تلهمني هذه الفكرة؟!.. هو يحبني!.. آه يا ربي، ما الذي فعلته به؟.. بل ما الذي فعلته بنفسه طوال السنوات العشرين التي مضت؟!.. رأيت دموعه بعيني وهي تسيل.. لم أستطع أن أمد يداً حانيةً لمسحها.. بل لم أفكر حتى بالابتسام له ولو عرفانا لأنني تذكرت فورا، وأنا بتلك الحال، ما فعلته به، فسالت دموعي أنا الأخرى.. سارع المسكين لمسحها ويقبلني ويقول لي "لا تخافي، أنا موجود".. يا للسماء!.. مم أخاف يا مسكين؟!.. أنا أبكي عليك.. طبعاً لم أقلها له، بل فكرت بها فقط!.. أنا لم أبك لأنني خنته يا الهي، بل بكيت لأنني فعلت به ما هو أقبح من ذلك.. فعلت، وجلالك فعلت.. لقد جعلته يربي ابن غيره!.. آه يا الهي، صعب الاعتراف بهذا، ولكنه ما حدث.. انقطعت دورتي وأنا في غمرة لذات لا تنتهي في أحضان لؤي الذي

استثمر غياب صاحبه جيدا.. تأخرت أسبوعين أو ثلاثة فكتمت الخبر.. وهل كان يمكنني غير أن أكتمه؟!.. طبعاً شعرت بالرعب، ولكن الرعب الأكبر لتجربة الإجهاض السابقة جعلني أبعد هذا، وكان يمكن لحالي أن تسوء أكثر لولا أن عواد رجع فجأة معلناً هزيمته المالية الكبرى وقراره أن يبقى في البيت ليلعق جرحه.. أخبرته يومها أنه في برج سعده لأن دورتي انتهت قبل أسبوع وأنني كنت أنتظره بلهفة ما بعدها لهفة، فصدقني المسكين لأنه أحال تصرّحي إلى رغبتني في التخفيف عنه ولم يقصّر في ليلتها منها بذلك رعي ولم يعرف أحد ما اقترفته.. حتى لؤي نفسه لم يعرف.. تصور مدى غبائي!.. ماذا لو شابه لؤي؟!.. ألا يحدث ذلك؟!.. ولكنني راهنت على جيناتي.. أمرتها أن تكون الغالبة وأن تنحني جينات لؤي الأب.. ناشدت كروموسوماتي أن تساعدني، فلم تخذلني!.. يا للجحيم، لم لم أتجاوز رعي من الإجهاض وأقرر.. كان لؤي ليساعدني لو أخبرته، ولكن الرغبة بالهزء به.. بعواد.. بل الانتقام منه، جعلتني أركب ذلك المركب الخطر.. الغبي.. بالغ الغباء.. ومن السخرية أن ابني ولد يشبهني كثيراً وكأنك يا ربي قد شئت أن تتآمر معي!.. ولكن ذلك لم يساعدني كثيراً فيما بعد لأن الخشية من انكشاف الأمر ظلت تلازمي حتى الآن.. أنت تعرف أن الحوادث تحدث أحياناً وأن تقدم العلم يجعل من أمر كشف عدم أبوته لولدي سهلاً.. آه يا ربي، كيف فعلت ذلك؟!.. ولكن، لم لم يكلف هو نفسه أن يخبرني كم يحبني؟!.. أم أنه لم يحبني إلا مؤخراً؟!.. ولكن لم يحبني؟! وأنا لم أكن له حبيبة يوماً ما.. أنا لا أعرف يا ربي، ولكنه يحبني الآن! آه يا الهي لو

تعرف ما أحدثه بي هذا الاكتشاف.. لقد قلب كياني وما عدت أعرف كيف أفكر.. كنت أحسن حالا وأنا مؤمنه بكراهيته.. أما الآن فلا أعرف كيف أفكر.. أو أتصرف!.. لطالما تمنيت لو أمسكته يوما بالجرم المشهود.. أن أشهد بنفسي خيانتة لي.. تصور!.. خيانتة لي!.. يا لسخرية الفكرة!.. المهم، راقبته كثيراً، ولكن مستحيل.. لم استطع يوماً أن أثبت عليه شيئاً.. حتى عندما كنت أهاجمه، وأكيل له شتى الاتهامات، كنت في أعماقي أدرك مدى بعدي عن المنطق في موقعي ذاك.. كنت أشعر بمدى سخاقي ولكن لم يكن لي دربا آخر.. أكون في حينها مستاءة جداً لأنني لا أمتلك شيئاً ضده يرر لي ما فعلته به.. كنت أتوسل به في سري أن يقيم علاقة ما مع أية امرأة يشتبهها.. فقط لأنقذ نفسي! ولكنه كان بريئاً في هذا الجانب إلى حد اللعنة ومع ذلك.. لم أحسبها له يوماً!..

حسنًا يا الهي.. هذه هي أنا، ولنفترض أنني أستحق كل العقوبات التي ستفرضها علي.. سأقبلها.. وهل لي إلا أن أتقبلها؟!.. ولكن ما ذنب شعاع؟!.. كيف يمكنك أن ترتضي كل ما تعرضت إليه من ظلم؟!.. أنت الحق المطلق، فكيف تريدنا أن نفهم هذا؟!.. نعم، نحن لا نستطيع أن نفهم حدود حكمتك.. بل يجب أن لا نفهم لأننا محدودين بمنطقنا البشري نحن، ولكن لا بد من إشارة.. نقطة ضوء.. أمل.. كيف تريد مني أن أفهم كل هذا.. وأن أتقبل؟!..

لا.. لا.. مستحيل!.. يمكن أن يكون هذا هو الجواب؟!.. لا أعرف!، ولكنه يبدو لي منطقياً فجأة.. الموت ليس نهاية!.. أهذا ما

تريد أن توحيه لي يا ربي؟! لا أريد أن أخفيك، هو لا يبدو لي منطقياً الآن، ولكن لا تفسر غيره!.. أنا احبك كثيراً يا إلهي ولذلك لا بد من إجابة، وهذه الإجابة ترضيني.. يجب أن لا يكون الموت نهاية لكي يتسنى لعدلك أن يأخذ مدهاء، لأن معظم النساء يرحلن وهن مظلومات، فمتى يتحقق العدل لهن؟!.. أنت لا يمكن أن تكون ظالماً لأنك الإله، ولكن ما يحدث ظلم أكيد، فهل من المعقول أن ترتضي به؟!.. لا، يجب أن يكون الموت مجرد مفترق طرق وأنا لا يمكن أن أجد تفسيراً غير هذا.. أعني يا ربي.. هل الموت مكمل للحياة؟!.. أهو الوجه الآخر لها؟!.. أي أن الحياة تكتمل بالموت! آه يا ربي، هذا صعب التخيل، ولكنه التفسير الممكن الوحيد ولذلك سأرتضي به.. في الوقت الحاضر في الأقل لكي لا أجن.. شكراً يا ربي لأنك لم تتركني لوحدي.. شكراً يا ربي لأنك جعلتني في النهاية أفهم.

From: wrecked_heart@yahoo.com

To: humam812@yahoo.com

عزيزي همام.. أعرف أنك لا تتوقع أن تتلقى مني هذا الايميل بعد كل الأشهر التي اختفيت أنا خلالها، وبعد أن لامس اليأس روحك بكل تأكيد، ولكنني كنت مضطرة، أو بالأحرى حائرة إذ لم أعرف كيف أشرح لك كل شيء بعد أن فقدت ثقتي بنفسي التي منحني إياها الرغبة بالانتقام، بسببك.. آه يبدو أنني سأعاني كثيرا من أجل توضيح الصورة لك تماما، ولكن أرجوك تقبل أولا أسفي للغموض الذي واجهك وأنت تريد أن تعرف ما حدث.. أو أين اختفيت، ولماذا؟.. أنا لم أشأ تعذيبك، ولذلك سأشرح لك كل شيء بإيميلي هذا وأعود للإختفاء، إلى الأبد هذه المرة وأرجوك، لا تحاول البحث عني.

إن شئت، فأنا أستطيع أن أوجز الأمر لك بهذه الجملة.. "أنا أتيت إلى بغداد عاهرة تملأها الرغبة بالانتقام، وعدت منها عاشقة!".. ولكنني أعرف أن هذا لن يكون كافياً.. بل لعله سيزيد الغموض، ولذلك سأعود إلى البداية، بداية تعريفي عليك، ولكن اسمح لي بأن أتفادى ذكر بعض التفاصيل لأن الشرح سيطول كثيرا في هذه الحالة.. أنا فقط أرجوك أن تمنحني ثقتك وأن تؤمن بأنني صادقة في كل ما سأقول.

أنت تعرف بأن بداية علاقتنا كانت عن طريق الفيسبوك بعد أن أرسلت لي طلب صداقة لوجود أصدقاء مشتركين بيننا.. في حينها

وافقت فوراً على الطلب.. وليتني لم أفعل.. على كل حال، ما حدث قد حدث ولن يفيدنا الندم الآن.. كنت صادقة معك في البدء فعاملتك كأخي صديق فسيبوكي محترم خاصة وأني كنت أعجب دائماً بتعليقاتك اللطيفة التي تنم عن عقل متفتح وشخصية متوازنة.. كنت أفرح حين تعلق على منشوراتي، واسارع إلى الرد عليها، وكان هذا أقصى حدود علاقتي بك، ولكن كل شيء تغير بسبب صورة نشرتها أنت ذات يوم.. صورة هزت كياني وأيقظت شياطين الغضب وشهوة الانتقام في داخلي.. طبعاً لم تكن أنت المعني بالانتقام، بل الشخص الذي كان معك في الصورة.. دريد اللعين الذي قلت عنه في تعليقك على الصورة أنه الأمل المرتجى في العراق الجديد!.. أنا أعرف الآن أنك كنت تؤدي واجبك وأنت تسعى لخوض الانتخابات النيابية معه، ولكنني لن أفهم يوماً كيف يربط شخص مثلك مصيره بشخص مثله؟!.. طبعاً أنت لا تعرف عنه شيئاً، ولكن شخصاً بذكائك كان الأجدر به أن يحدد.. أم أنك حدثت ولكن أطماعك منعك من الانصياع؟.. على كل حال أنا لست هنا لأحاسبك، بل سأتركك لضميرك، أنا أريد أن أقول ما عندي وأمضي.

دريدك هذا كان زوجاً لي.. أو لعلني ما زلت على ذمته، لا أعرف، ولا يهمني، لأنني تركته وهربت.. تركت له العراق بأكمله وهاجرت ولك أن تتصور ما فعله بي لأقرر ذلك!.. حينما نشرت الصورة، لم أسألك، لأن كل شيء بدا لي واضحاً.. كنتم تتهيؤون لخوض الانتخابات مستفيدين من حقيقة سجنه إبان زمن النظام السابق.. هل كنتم سعداء لأنكم تقدمون للشعب واحداً من مناضليه

السياسيين؟!.. آه لو كنت أعرف سبب سجنه بالضبط لأخبرتكم، ولكنني لم أكن موجودة لأعرف، أنا فقط أستطيع أن أضمن لك أن السبب لا يتعدى في كل الأحوال الاختلاس أو السرقة أو أية جنحة أخرى مخلة بالشرف، أنا لا أعرف، ويمكنك أنت أن تسأله عن شرفه لأنني أعرف بالضبط مفهومه عن الشرف!.

أقنعت نفسي طوال سنوات أنه قد مات، ولذلك عشت حياتي من بعده مهدوء رغم أن ندوب جروحه التي سببها لي بقيت واضحة أمامي بسبب الغربة التي فرضها علي، ولم أكن راغبة بها.. مات، ولكن صورتك تلك أعادته إلى حياتي بقسوة فعوت في داخلي الرغبة بالانتقام.. بذرت البذرة، وما كان عليّ إلا أن أنتظر فعل الأيام لتنضج الأفكار، وبالفعل نضجت بطريقتها العصية على الفهم والشرح، المهم هو أنها اكتملت بعد أن قررت أن أفجره بنفسه كما يفعل أولئك المسوسين الذين يفجرون الناس بأجسادهم.. في الأقل هو مذنب ومستحق للتفجير وليس مثل أولئك الأبرياء الذين تتمزق أجسادهم من دون ذنب اقترفوه.. لا تخف، فأنا لم أفكر بتفخيخ نفسي، بل فكرت أن تكون أنت وسيلتي لأفضحه.. أن أفضح نفسي لأفضحه.. أن أمنحك عفائي الذي لم أفرط به رغم مرور السنوات لتفضحه به، فأنا في النهاية زوجته، أما لماذا فكرت بهذه الطريقة، فصدقني أنه سيفهم!.. فقط أعرض عليه الصور التي التقطتها والأفلام التي صورتها ونحن نعلم برحيق لذاتنا، سيفهم.. وحق كل شروعه ودنائه، سيفهم، فقط أره إياها، أو حتى أنشرها على الانترنت ليعرف الجميع مدى هوان هذا القميء الذي تخونه زوجته علنا.. أنشرها فأنا لن يهمني لأنني لن أعود إلى العراق أبداً، فعذراء التي

يعرفونها قد ماتت في اللحظة التي استلمت فيها جوازها المزور بالاسم المزيف الذي غادرت به العراق.. أنت تعرفني باسم فاتن، واسمي الحقيقي عذراء، ولكن اسمي هنا في غربتي لا يعرفه أحد أبداً، ولذلك لن يهتمي ما سيحدث حين يرى الجميع ما فعلناه سوية.

يا للسخرية!.. توهمت أنني سأفضحه لأنني كنت أفكر وفق المعايير الغربية، ولكنني اكتشفت حين كنت في العراق أنني لم أكن لأنال غرضي لأن أحداً لن يهتم.. سيتابعون الأفلام ويتمعنون جيداً في الصور، سيضحكون عليه ويتشفون به، ولكنهم حين يلقونه سيستقبلونه بكل الاحترام الواجب الذي تفرضه عليهم أطماعهم!.. وسينتخبونه في النهاية!.. أما عنه، فتأكد من أنه لن يهتز، بل لعله سيضحك على سخاوتي ويمضي نحو هدفه.. ورغم ذلك كنت قد أتممت خطتي، وكنت واثقة من نجاحها فالأمر بسيط جداً، أفضح نفسي لأفضحه، ولكنك أحبطت مخططي بالكامل.. يا لله! لِمَ كان عليك أن تكون على هذا القدر من الطيبة والنقاء؟.. حين بدأت معك، أسعدتني جداً سرعة إنزياح غلالة العفة عنك.. تصورت أنني قد كشفتك على حقيقتك متناسية أن الرجل العراقي الطبيعي ليس مؤهلاً أساساً لمقاومة أي إغراء أنثوي.. حسبته ضدك، ولكنني ما أن رأيتك، وعرفتُك بشكل أفضل حتى أدركت مدى خطأ ظني.. لِمَ لَمْ تكن كما توقعتك فحرمتني من لذة الشعور بالانتقام؟!.. لِمَ خيبت أمني وأنا الانتحارية التي قطعت المسافات لتنتقم من قاتلها!..

يا للمسكينة أُمي.. (جرحتها) معي وهي لا تعرف ما أنا مزمنة عليه.. حين استقلينا الطائرة المتوجهة إلى بغداد، كنت أشعر بالضبط كما العاهرة الذاهبة إلى موعداً مع زبون، ولكنني تحاملت على

نفسي وأتيت، ولذلك أحبيتك أكثر لأنك جعلتني أحبك قبل أن
أمنحك نفسي.. من المحتمل أن لا تفهم هذا، ولكنه يفرق كثيراً عند
الأنثى لأن الجنس بالنسبة لها مسألة تفاعلات وليس مجرد ميكانيك
كما يحدث معكم أنتم معشر الرجال.. شكراً لأنك جعلتني أمنحك
نفسي حباً فأعدتني عاشقة إلى هنا بعد أن دفنت العاهرة هناك في
بغداد.. آه يا همام، بدأ الكلام في الموضوع يؤلمني جداً لأنه مليء
بالمشاعر المتناقضة، ولذلك اسمح لي أن أتوقف.
هذه آخر كلماتي لك، وكما قلت.. لا تحاول أن تبحث عني.
وداعاً يا حبيبي.

آه يا موت.. يا موتي العزيز.. ترى، إلى أين ذهب؟!.. كيف يمكن أن يختفي هكذا من دون أي أثر؟!.. اختفى وكأنه لم يكن أساساً.. إلى أين ذهب.. وكيف يمكنه أن يتركني.. لا، فمثله لا يترك أحبته.. فماذا حدث؟!.. هل اغتالته عبوة هو الآخر، أم مسّه هوى المفخخات المكنون للعراقيين؟!.. ولكن لا، فحدسي يقول أنه موجود، فقط هو لا يأتي ليراني.. ولكن لِمَ لا يأتي.. لِمَ لا يفكر بي.. ولكن، لِمَ يجب أن يفكر بي؟ فهو لم يصارحني بحبه.. بل هو رفض كل محاولاتي لفرض الحب عليه.. آه يا موت، يبدو أنني لم استوعب حدود هذا الرجل، ولكنه هو الذي لا يُستوعب.. بدا لي طوال الوقت منيعاً على الإمساك.. غير قابل للمس.. ومع ذلك هو عارم الحنان وبالغ اللطافة إلى درجة تكاد تجعله غير حقيقي.. ولكنه حقيقي.. حقيقي جداً.. أهو كذلك؟!.. لم أعد أعرف، فقد سألت زوجي عنه بعد أن لم يبق أمامي ما يمكن أن أفعله للبحث عنه.. بذلت أقصى جهدي لأجعل الأمر يبدو عفويّاً، وسألته، أتعرف ماذا حدث.. لقد أنكر معرفته به.. أنكره نهائياً فأثار غضبي.. من يتصورني هذا المخلوق.. يأتي به إلى الصيدلية فأعرفه، وبعد ذلك ينكر معرفته به.. أيريد أن يتلاعب بي.. ولكني ردعته، فقد أغلظت له بالقول وأسمعته ما لم يسمعه مني من قبل، فقد أعصابه وحاول أن يضربني، ولكنه تراجع وخرج غاضباً ليركني لوحدي مع حيرتي.. أتعرف؟ لقد أنكر معرفته وأقسم وهو

في سورة غضبه أنه لا يعرف أحداً بهذا الاسم، وقد بدا لي صادقاً ولكن، كيف عساي أن أفسر الأمر، أنا لا أستطيع، ومن أسأل وأنا لم أحدث غيرك عنه.. ما معنى كل هذا يا موت.. أيعقل أني قد جنت؟! أقسم لك أنه قد أتى معه في المرة الأولى وسبق لي أن حدثتك عن ذلك.. أنا متأكدة.. نعم، صحيح أني لم أرهما بعد ذلك وهما معاً، ولكنهما كانا معاً في المرة الأولى.. هل فقدت عقلي، أم أن ذاكرتي قد أدركها الخرف؟.. مستحيل، أنا لم أخرف بعد.. ولكن هذا هو حال المخرف، لا يعرف أن الخرف قد أدركه إلا بعد فوات الأوان.. أو لعله لا يدرك ذلك أبداً.. أهذا معقول؟! أهناك شيء يفوتني.. أرجوك يا موت أخبرني، هل بدأت أفقد ذاكرتي، أم أنه فقدان كامل للعقل؟!

لدي الكثير ما أريد أن أكلّمك عنه.. الكثير جداً، ولكنني مضطرة للتوقف لأنني يجب أن اذهب للصيدلية الآن.. أولاً لأنه واجبي.. وثانياً لعله يعطف علي، ويظهر!.

كانت تتحدث مع الزبون عندما رأيته واقفاً أمام الصيدلية في الجانب الآخر من الشارع وهو يبتسم لها بطريقته المحببة.. لم تتردد، بل تركت الرجل لحيرته ودهشته، وهرعت إليه.. كادت سيارة مسرعة أن تدهسها وهي تعبر الشارع، ولكنها لم تهم.. كما لم تهم لكل أولئك الناس في الشارع فاحتضنته بلهفة حين أصبح في متناول يديها.. قالت وهي تغالب دموعها المتحفزة:

- أين كنت طوال الوقت الذي مضى؟!

منحها ابتسامة بدت لها بالغة الرقة، وهو يقول:

- كنت موجوداً.

إرتفع صوتها وهي تقول غير مبالية بالآخرين:

- موجود؟!.. لكن أين؟

فقال:

- أقرب مما تتصورين بكثير.

نظرت إليه غير مصدقة وقالت:

- قريب؟! ولكن لماذا؟

أصر هو على هدوئه قائلاً:

- أراقبك.

فقال بصوت شابه إنفعال واضح:

- تراقبني؟! ولكن لماذا.. هل بدأت تعمل لمصلحة مخبرات

ما، أنت الآخر؟!

ابتسم لها وهو يتهيأ للرد، ولكنها استرسلت قائلة:
- ولكن لا بأس إذ لم يعد الأمر غريباً هذه الأيام.. فقط
طمئني لأية مخابرات تعمل.. لمخابرات جزر سيشل أم
جزر القمر.. هيا لقد أصبحنا قبلة لمخابرات دول العالم،
ولكن في الأقل قل لي أنك تعمل لصالح مخابرات دولة
مهمة.

ضحك بصوت مسموع ولكنه لم يحاول أن يقول شيئاً، فقالت
متابعة:

- أرجوك أخبرني أين كنت.. لقد قلقت عليك كثيراً.
فقال على الفور:
- لا تقلقي علي.. لا يمكن للسوء أن يصيبني.
فضحكت بعصبية واضحة وقالت:
- هل حصلت على إذن خاص من الموت من دون العراقيين
لتكون في مأمن مما قد يصيبهم من سوء؟!
لم يجيبها بشيء هذه المرة بل اتسعت ابتسامته فقط.. قالت:
- لقد قلقت عليك كثيراً.
قال بهدوء:

- لقد عرفنا هذا، فماذا بعد.
نظرت إليه بغضب وقالت:
- يبدو أنني كنت مخطئة.. لن أقلق عليك مرة أخرى.
لم يجيبها هذه المرة على الفور، بل حذق في وجهها لثوان
معدودات قبل أن يقول بأقصى ما استطاعه من هدوء:
- لن تكون هناك مرة أخرى.

لم يبدُ عليها أنها فهمت ما قصد، ولكن عينيها اتسعتا دهشة
وهي تقول مستطلعة:

- ماذا تقصد؟!

فأجابها بنفس الهدوء، وأكثر:

- لا بأس.. ستعرفين.

أرادت أن تقول شيئاً، ولكنه قاطعها قائلاً:

- اكتشفت الحقيقة إذاً في النهاية؟.

مرة أخرى عجزت عن الفهم رغم أنها تمنعت جيداً في ملامحه

المحايدة.. تساءلت:

- أية حقيقة؟!

فقال وقد رجعت ابتسامته إلى شفثيه:

- أقصد حقيقة أن الحياة لا تكتمل إلا بالموت.

في أعماقها ولدت (مستحيل) فورية، ولكنها عجزت عن نطقها

لأنها شكّت أن سمعها قد خافها، أو أنها لم تستطع أن تستوعب

مدلولات كلماته جيداً.. قالت:

- لم أفهم.

اتسعت ابتسامته وهو يقول محاولاً طمأنتها:

- بل تفهمين جيداً.

ثم ركّز نظراته في عينيها اللتين تحدقان به بدهشة عارمة.. قالت

هي من دون شعور:

- ولكن هذا مستحيل.

فهز برأسه برفق وقال:

- لا ليس مستحيلاً، بل هي الحقيقة.

تساءلت وقد بدأ الخوف منه يتسرب إليها:

- ولكن من أين لك أن تعرف بهذا؟

قال:

- منك طبعاً.

فصاحت على الفور:

- كذب.. أنا لم أحدث أحداً عن هذا.

ابتسم بتفهم واضح وهو يقول:

- بل أخبرني به.. أما كنت تكتبي لي طوال الوقت الذي

مضى؟

ما بين الشك بقدرتها على السمع الصحيح، والخوف الذي بدأ

يحتاج كيائها، وهي تستوعب بالكاد ما تسمع، قالت بصوت

مرتجف:

- ولكن هذا يعني أنك..

لم يدعها تكمل، بل قال مقاطعاً:

- نعم هو أنا.

صدمها رعب هائل، ساحقا أعصاب ساقها اللتين عجزتا عن

حملها.. سارع هو ليمسك بها من تحت ابطها ويسندها.. قال

بصوت إلى الهمس هو أقرب:

- أرجوك عزيزتي، لا تصعبي الأمر عليّ.

اقتحم الحنان المتسرب من صوته غيبوبتها الجزئية، فبدأت تسترد

بقية حواسها، ولكنه استمر بمسه الرحيم قائلاً:

- صدقيني هي الحقيقة العظمى.. الموت هو مكمل الحياة..

من دونه لن تكتمل الدورة.

لم تنبس هي بنت شفة، فقال وهو يركز على كل حرف
ينطقه:

- هو الحين يا هديل.

فقلت وشبح ابتسامة تكم يتراقص على زاوية فمها:

- أي حين يا حيان؟

لم يجب هو هذه المرة، ولكنها لم تلجّ بالسؤال، بل اكتفت
بإغماض عينيها.

حين فتحت عينيها بعد أجزاء من الثانية، كانت قد استردت
وعيتها كاملاً.. بل شعرت وكان وعياً جديداً قد أمتلكها.. وعياً
حاداً جعلها تنظر إلى الأمور بطريقة أخرى.. تطلعت في عينية
القريتين، فشعرت أنها تحبه.. تحبه كثيراً.. تسربت فلول الرعب من
نفسها، تخلصت من ذراعيه.. كان هو يراقبها بحذر وقد علت
ابتسامة مشجعة شفتيه، استطاعت بعد قليل أن تبادله الابتسامة قبل
أن تقول:

- على كل حال، لم تكن حياة تستحق أن نأسى من أجلها.
أوماً براسه موافقاً، فمنحها ذلك المزيد من الإرتياح لولا أنها
تذكرت أولادها، فجزعت.. غامت عينيها، فقال بأقصى ما يستطيعه
من رقة:

- صدقيني أنهم سيكونون بخير.. سيعيشونها بالضبط كما
يجدر بهم أن يعيشوها.. لا زيادة ولا نقصان.

شعرت فوراً أنه يقول الصدق، لم تشأ أن تناقشه أو أن تستفسر
عن شيء بعدما أيقنت أن لا فرار.. أجبرت نفسها ان تتقبل الأمر،
فتبدلت حالتها النفسية مرة أخرى.. انتهت إلى أنهما كانا ما يزالان

واقفين على الرصيف، قالت:

- لنذهب إلى الصيدلية.

فابتسم لها الابتسامة التي لم تر مثيلا لها في حياتها وقال:

- لا يا صديقتي.. لن.. نرجع.

فهمت قصده على الفور، ومع ذلك تساءلت:

- هنا؟!

قال لها وهو يشير بيده الممدودة:

- سيرى معي حتى نهاية الشارع.

وافقت فورا بإمالة من رأسها، فأضاف:

- أو ربما أبعد بقليل.

(هسيس اليمام) رحلة حياة، يأخذنا عبرها سعد سعيد الى عوالم طالما غلفها الغموض والسرية، عوالم خمس نساء تتصارع فيها الرغبات مع القيود الاجتماعية والاخلاقية والدينية، رحلة يتنصت فيها القارئ لصوت هسيس النار المتأججة في اجساد خمس يمامات يتناهبهن سعي الرغبة ويقيدهن واقع حياتهن وما يفرضه عليهن من التزامات.

مغامرة جريئة رصدت المخفي من جبل جليد حيوات خمس نساء عراقيات، عبر رحلة تكشف تداخل خيوط حياتهن ومصائرهن وتصوره لنا كاشفة المسكوت عنه في حياة المرأة في مجتمعاتنا. خمس يمامات هن بطلات العمل وتكتمل الحكاية مع ظل رجل يلوح هنا او يغيب هناك ليؤدي دوره في ادامة اضطرام الاحتراق.

صادق الطائي

هسيس اليمام

سعد سعيد

▪ روائي من العراق.

ssr2981957@yahoo.com

▪ صدر له أيضاً:



منشورات ديفاف
DIFAF PUBLISHING
editions.difaf@gmail.com

جميع كتبنا متوفرة في موقع **نيل وفرات.كوم** - www.neelwafurat.com - www.nwf.com